استعباد الإسلام

يونغ



أوجين يونغ

مسائل الشرق

استعباد الإسلام

ويتلوه كتاب «الاسلام وآسيا أمام المطامع الاوربية»

يطلب من

مكتبة زيدان العمومية

بشارع الفجالة في مصر عدد ٦٢
صندوق بوسطة الفجالة نمرة ٢٢ بمصر
ويطلب أيضاً من مؤلفه في باريس بشارع مالاكوف عدد ٥٠

ou chez l'auteur
E. Jung - 50 Avenue de Malakoff - Paris (XVI)

مطبعة النهضة بشارع عبد العزيز بمصر
١٩٢٨

مؤلفات

أوجين يونغ

عن البلاد العربية

باللغة الفرنسوية

الدول والثورة العربية	مجلد واحد
الثورة العربية من سنة ١٩٠٦ الى سنة ١٩٢٥	مجلدان
استعباد الاسلام	مجلد واحد
الاسلام وآسيا أمام المطامع الاوربية	مجلد واحد

أوجين يونغ

مسائل الشرق

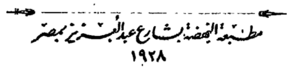
استعباد الإسلام

ويتلوه كتاب « الاسلام وآسيا أمام المطامع الاوربية »

※

يطلب من مكتبة زيدان العمومية بشارع الفجالة في مصر عدد ٦٢
صندوق بوسطة الفجالة نمرة ٢٢ بمصر
ويطلب أيضاً من مؤلفه في باريس بشارع مالاكوف عدد ٥٠
أو من ماربون وشركاه في باريس بشارع مينيون عدد ٥

E. Iung - 50 Avenue de Malakoff - Paris (XVI)
Marpon & C[ie] Editeurs - 5, Rue Mignon - Paris (VI)



١٩٢٨

عرض اجمالي لموضوع الكتاب

تترامى الأخبار من كل ناحية عن حدوث حركة مثيرة للخواطر في العالم الاسلامي ، فينسبونها الى الدسائس البلشفيكية والدعاية الجدية المتواصلة الصادرة عن تشقند والممتدة حتى أقاصي آسيا وافريقيا .

أجل ان هـذا السبب معقول ولـكنه ليس بالسبب الأصلي ، فالسبب الابتدائي يرتقي الى ما تأتيه الأمم المسيحية الـكبرى من الأعمال ، فهي غير شاعرة بذلك ، أو إذا كانت قد أدركته إدراكا جلياً بتعمدها اثارة تلك الحركة فانها تأبى الاعتراف به وتقدير عواقبه الوخيمة

فيوافق ـ والحالة هـذه ـ في هذا العصر أن نبالغ في البحث عن هـذه القضية لعلنا نجد دواء لهذا الداء ، ففي الشرق برمته نار مطبونة تحت الرماد ، يخشى أن يندلع لسانها فتلتهم كل شيء

واذا تسعرت النيران في الشرق كان الخطأ واقعاً مباشرة على بريطانيا وفرنسا والمانيا وايطاليا وبغير مباشرة على الولايات المتحدة . ولقائل أن يقول : هذه نظرية الشيوعيين ، ويردف ذلك بقوله اننا ندافع عن قضية فاسدة ، فيسهل علينا دفع هذه التهمة التي سمعناهم يوجهونها الينا ، ونستميحهم عذراً عن نزولنا الى مجال الـكلام .

أنا متحدر من أسرة الزاسية قديمة معدودة من صنف المقاتلة ، وأنا معتصم بأهداب وطنيتي ولست من أنصار الجندية ، وقد كنت من أصحاب الخطط في المستعمرات ، وضحيت بمنصبي في سبيل الذود عن مصالح فرنسا في الخارج ، وأسعدني الحظ بأن أشاهدهم يحلون محل الاعتبار خططي ويضعونها موضع الاجراء في كل مكان ، ولا أحاذر أن يحيلوا علي باللائمة لمجاهرتي بالعداء للتبسط في الاستعمار ، وهذا مما يوسع لدي فسحة الـكلام بحرية .

يتقيد الشيوعيون بأوامر يتلقونها من الخـارج ، واذا كانوا ينتصرون لبعض الشعوب المظلومة فما ذلك الا رغبة في الوصول الى غايتهم .. السوفياتية فهم يبثون البغضاء لفرنسا وللوطن .

أما أنا فاني بعكس ذلك ، فحين أقول الحقيقة بصراحة أقصد من وراء ذلك ما يقصده من يكوي الجروح بحديدة محمـاة بغية التمـكن من اصلاح حالة نفسية مضرة بنفوذنا في العالم وبمصالحنا الحالية .

وليس الشرق الأدنى فقط في حالة الغليان ، ففي افريقيا والصين والهند والجزائر الهولاندية يشتد هيجان الافكار يوماً فيوماً ويتفاقم الخطب

فما هو اذن سوء التفاهم هـذا الفاصل الاسلام عن باقي العالم ؟ وما هي أسبابه ؟ وكيف السبيل الى ازالته ؟ هذا هو الغرض الذي نرمي اليه بتجرد

ان القسم الاكبر من ذلك الخلاف يجري في الشرق من الوجهة السياسية والعسـكرية والاقتصادية ، وليس في كل بلاد للسواد الأعظم من القوم الا معارف ناقصة من هذا القبيل ، وهب كانت معرفتهم لهـا صريحة فانهم لا يفقهون كـنه أسبابها المضمرة .

ينشدون السلام في كل مكان لـكنهم ينشدونه سلاماً عادلا صادقا شاملا ، يدخل عليهم الخوف من رؤيتهم تجدد تلك المجازر الهائلة التي دارت فيها رحى الردى على عشرين مليوناً من البشر ، وهـذا ما دعا الناس الى الابتهاج عند انشاء جمعية الامم وإبرام معاهدة لوكارنو ، فما عتمت تلك البهجة أن انقلبت الى شك حالما عرفوا السبب الحقيقي لجميع تلك الاعمـال ، فقد كانت مطوية على روح تسلط الدول العظمى مع العبث بحقوق الشعوب الاخرى المعتبرة بمثابة توابع حقيرة مع مراعاة العضد الممكن أن تموه به على احـدى تلك الدول الـكبيرة .

والعاقل يلقى تحت مغزى حكاية « الحيوانات المصـابة بالوباء » مع ما في تلك الخطب من التنميق ، وفي تلك العبارات من التزويق لستر الحقيقة عن بصائر العوام ، وسيأتي يوم ينحسر فيه اللثام عن كل شيء فحينئذ يهب

«الصغار» من غفلتهم ويضمون متفرق شملهم وينتهي بهم الأمر بالفوز بأمانيهم .

وفي المدة الاخيرة نشر أحد المفكرين مقالاً معززاً بالبراهين الدامغة تحت عنوان « الخطر المحدق بالتمدن الابيض » فالدكتور ليجندر ناسج بردة هذا المقال أورد حججاً ساطعة مؤثرة لكنه ذهل عن الوقوف في الجهة المقابلة وإرسال باز الفكرة ، وهذا الخطأ يقع فيه كثيرون من الكتاب والمؤرخين والحكماء ورجال السياسة ، وجلي أننا جئنا المدنيـة القديمة بحسنات المدنية الحديثة من دون أن نقتبس منها ما فيها من المحاسن ، فاطلعنا اطلاع المتسلط المستغل ، فأنكر علينا ذوو المصلحة ذلك الامر وأبرزوا لنا صفحهم أي أنهم أشهروا علينا السلاح فوقعت الحرب .

وكأنا بالخطر الناجم عن ذلك المنهاج يدنو وقوعه شيئاً فشيئاً في الشرق ولا سيما في بلاد الاسلام ، ففي العالم الاسلامي اربع مئة مليون مسلم ونيف منتشرة في آسيا وافريقيا وهو يشعر بأن « الحرب الصليبية الاخيرة » على قول الجنرال اللنبي قد أصابته في صميمه . أجل إن هذه الحرب ستكون ولا مراء الاخيرة ولكن ليست على الشكل الذي يتوهمونه ، فالكفاح الناشب بين النصرانية والصهيونية من الجهة الواحدة والاسلام من الجهة الاخرى سيفضي الى شر العواقب . ولعمري ان ثمت أشياء يجب الامتناع عن إتيانها ، وبلدان يجب محاذرة مسها ، ففقدان المعرفة بأحوال علم النفس عند ذوي الحل والعقد في البلدان المسيحية يقضي بالعجب العجاب ، ولقد كان ميسوراً لهم أن ينهجوا غير هذه السبيل لصيانة مصالحهم الشرعية ولكنهم أبوا فهم هذا الامر ، وهذا هو السبب الذي من أجله عانيت وضع هذه الرسالة مؤملا أن ما أودعته فيها من الاعتبارات تفتح عيونهم وقد شاؤوا الاصرار على بقائها مغمضة .

— ٢ —

الشرق

لنذر جانباً البلاد الاوربية التي ترعرعت فيها المسألة الشرقية ولنلق نظرة على الاقاليم الاسوية : بين البحر الاسود والبلاد العربية تمتد تركيا ، فهذه لما ثابت الى نفسها طمعت بفريستها القديمة ، وثمت كيليكيا التي أعادوها إلى الترك بشكل غريب ، وسورية ولبنان الموضوعان تحت انتدابنا ، وفلسطين والشرق العربي ، والعراق المرفوع فوقها لواء الانتداب الانجليزي ، وشبه جزيرة العرب بما فيها من الامصار المحيطة بها أسرار غامضة ، وجميع تلك الاصقاع كبوتقة يهيىء فيها المهضومة حقوقهم أساليب الانتقام . وهناك أيضاً الحجاز وعسير واليمن وحضرموت وعمان والاحساء والهفوف ونجاد العربية الوسطى ونجد والقصيم وشمر واليمامة والافلاج الخ . ويتولى ادارة الشؤون فيها سلطان ذو طول وحول علقت عليه جميع الآمال وهو عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ، وقد نودي به أخيراً ملكاً على الحجاز، ويمتد سلطانه من الخليج الفارسي إلى بحر القلزم .

وإلى اليسار مصر وفيها تغلي الافكار غلياناً ، وإلى اليمين أفغانستان و بلاد فارس وبلوخستان ، وأبعد منها الهند وقد فار فائر القوم فيها .

ففي هذه البلدان أو بسببها سيقرر حظ العالم ومصيره .

وتبرز الآن في الشرق ثلاث مسائل خطيرة : المسألة الاقتصادية والمسألة السياسية والمسألة الدينية . فالمسألتان الاوليان عالجهما منذ عهد قريب المسيو ستافرو كوستو بولو الاغريقي في كتابه « سلطنة الشرق » حيث قال «ان البلدان الشرقية الممتدة على شواطىء البحر الرومي مركز تيار دولي يتألف منه عنصر لا يستغنى عنه في اقتصاديات الحياة الاوربية : وقد كان موقع البلاد مؤاتياً لمرور مختلف الاجناس الساعية وراء حظ افضل . وكان ايضاً ان طبيعتها الجذابة جعلت العناصر المتباينة والمتفرقة تستوطنها . ولما تألفت الهيئات

لاجتماعية الاولى كان أول تنازع على البقاء في الشرق ، وقد اتخذ في بدء الامر شكل صراع بين القبائل وفيما بعد بين البلدان والممالك فقد كانت المسألة الشرقية قبلما أطلق عليها رجال السياسة هذا الاسم ، وكانت الغزوات والفتوح والممالك التي تعاقبت في الشرق متعلقة بالمصلحة الاقتصادية . وسيظل التنازع على سلطنة الشرق ما دام المجرى الاقتصادي الرابط أوربا بأسيا موجوداً »

وقد أغفل المؤلف ذكر المسألة الدينية وهي مسألة أشد خطراً منهما ، ومع ذلك فلا بد من اضافتها اليهما ، فهذه المسائل الثلاث ترتبط ببعضها وتتصادم وتمكن من فهم الجهات المعقدة في تاريخ الشرق الحالي ومن تخليص الحل المنطقي لها ، فكأنهم يبتعدون عنه شيئاً فشيئاً :

وليس من غرضنا أن نرجع في هذا البحث الى الازمنة البعيدة ، فندع للعلماء المدققين العناية بسرد حوادث التاريخ التي استهوت كثيرين من الكتاب ، ونكتفي بملاحظة ما يجري في ايامنا هذه .

كان الشرق الادنى دائماً سوقاً للمواد الاولية ومصرفاً للسلع المصنوعة . وكانت المحافظة على تلك السوق تقتضي بقاء طريق أسيا حراً أو خاضعاً للطامع به . ولما انسد ذلك الطريق بحث الغرب عن طرق اخرى من جهة بحر القلزم والمحيط الهندي وسيبيريا والقوقاس والبحر القزويني ، وقد اتبعت المجاري التجارية الكبرى في كل حين سيراً واحداً على ان الخط الايمن كانت له الافضلية طبعاً ، ومن ثم كان الشرق اي فلسطين وسورية والعراق مركزاً للتجارة ، وكان هو ايضاً طريقاً للغزوات الكبيرة .

فمن يقبض بيده على تلك الطريق يصبح سيد العالم ، وقد زاد عشرة اضعاف اهتمام الدول العظمى بهذه الاقاليم منذ اكتشاف ينابيع البترول الغزيرة في الموصل وامكان اكتشاف مناجم في فلسطين واستغلال المقادير الوافرة من الحبوب في سهول العراق التي كانت كثيرة الخصب في ماضي الزمان .

وكانت كل دولة من تلك الدول العظمى ترصد قبل الحرب حركات الاخرى وسكناتها وتسعى لاحباط ما تنويه غيرها من التدابير السرية ، وتبذل جميع

الوسائط لخطب موالاة سلطان الاستانة والاكثار من طلب امتيازات سكك الحديد والمعادن ، وتتفنن في ترسيخ قدمها في الارض العثمانية بواسطة رسالاتها ومدارسها ومشروعاتها الزراعية . وكن جميعهن يراقبن بتيقظ سرعة انحطاط « الرجل المريض » بعد ما كن انتزعن شيئاً فشيئاً ما يملكه من الاقاليم وعللن النفس بانحلال السلطنة واقتسامها فيما بينهن .

وذكرت في كتابي « الثورة العربية » المطبوع حديثاً ما كانوا يفكرون في اجرائه لتصفية تلك الغنيمة الفخمة ، ولا يمكن أن تكون القسمة الضئزى المهيئة على ذلك الشكل الا موقتة ، وكان من المحتمل أن تصبح وسيلة لخلاف شديد ، فلم تصب فرنسا الا حصة يسيرة ، وكان لبريطانيا والمانيا النصيب الاوفر ، وكانت كل منهن تطمع بجلد الدب قبل قتله .

وقصارى القول ان حكومة لندن ابقت المجال مفتوحاً في وجه الالمان في الشمال وبقيت قابضة على الملاحة في شط العرب ودجلة والفرات وداخلية كويت . واكتفت حكومة باريس ببعض امتيازات نالتها شركات خاصة ولم تهتم قط بمطالب السوريين . وفي شهر شباط سنة ١٩١٤ كانت حكومتنا تنوي أن تترك كل شي في مقابل اطلاق يدها في مراكش مما يدل على جهلها للاحوال كل الجهل ، وعذرها الوحيد هو ان مديري شؤونها لم يكونوا يحسنون معرفة التاريخ ، ولكن في مثل هذه الحال كان الاخلق بهم الا يقبضوا بايديهم على أزمة الاحكام ويتحملوا مسئولية حظ بلادهم .

وحدث ان عدم التكتم حال دون تلك الهفوة ، فضلا عن ذلك لم توافق المانيا على ذلك الاتفاق فقد كانت تطمح الى اكثر من ذلك ، ولا بد من الاعتراف بانها كانت قد درست الاحوال درساً مدققاً . وكان للعاهل والمقربين اليه غايتان الاولى معروفة ومبحوث فيها وهي الاستيلاء على طريق سالونيك والاستئثار بطريق أسيا وكانت طريق بغداد قد تقدمتها . وكان ثمت سبب أهم تجاري وصناعي يسير تلك السياسة التي وافقت عليها جماعات ظمأى لزيادة الكسب

واحتلال البلدان . والثانية كانت اسمى من ذلك وهي استئناف العمل الذي كان ينويه بونابارت ، وهذا هو السبب الحقيقي لرحلة العاهل غليوم الشهيرة في الشرق . فقد كان حامي الاسلام يطمع بالسيادة على العالم واحتلال الهند وتصيير بريطانيا تحت رحمته .

لجرّ هذا الطموح وهذه الحاجات وهذه المطامع الى حرب سنة ١٩١٤ ، الا انالمانيا كانت كجاري عادتها يعوزها علم أحوال النفس ، فكانت متكلة على استنفار المسلمين بفضحها ما كانت بريطانيا وفرنسا وايطاليا تنوينه من ضم اقاليم خاصة بالسلطان ومأهولة باقوام اكثريتها من المسلمين ، وكانت معولة على الخليفة ليدعو اليه جميع المؤمنين

وقد فاتها أمران ، الاول أن الاسلام يسلم بتسلط الاجنبي على أقاليم اسلامية ليست من « أرض الاسلام » بحيث تحترم فيها الهوادة ، وتراعى العادات ومزاولة الناس أعمالهم وحرية الافراد ، وكان من وكد الدول الاسلامية الكبرى السير بموجب هذه الامور حتى ذلك الحين . والثاني أن العالم العربي يبغض التركي الجائر المختلس ، وكانت معارضته تشتد في السنوات الاخيرة . وله الفضل في إخفاق الدعوة الى الجهاد ، فبدلاً من إشهاره الجهاد على الكفار حدثت الثورة العربية .

ولا بد لنا من هذه الجهة التاريخية أن نعلم انه بفضل مئات الالوف من العاملين المصريين وبفضل الجيش المصري وعرب الحجاز ونجد والعراق والشرق العربي حفظت قناة السويس تلك الطريق الحيوية وأمكن التموين بها ، وشغلت فيها فصائل من الجيش التركي كاد يصبح وجودها في بعض الجبهات سبباً لجر الخطر اليها ، فهلك بعضها وأسر البعض ، وكان النصر صادراً عنها .

وقد ساعد العالم العربي الشرقي الحلفاء لأنه وثق بكلامهم ظاناً أنهم يساعدونه في نوبتهم لضمان استقلاله إذا عاد خصومه لمهاجمته . فما يلجأون اليه الآن من الدعوى بأن تلك المساعدة كانت تافهة يعدّ كذباً من أشنع الكذب الذي يدوّنه التاريخ .

وبعد ما وضعت الحرب الكبرى أوزارها اشتدت خطورة المسألة الشرقية أكثر مما كانت عليه من قبل ، وقبل أن نتناول هذا البحث لا نلقى مندوحة عن بيان حقيقة الحالة التي صارت اليها تركيا الجديدة وهذا عامل يقلق الفكر في تحول الشرق في الآونة الحاضرة وتحول الاقاليم المجاورة للبلدان العربية .

— ٣ —

تركيا الحديثة

ان التركي ولا سيما التركي القديم إذا أخذ على حدة قال انه صديق فرنسا ، على أن هذه الصداقة لم تحل دون استسلام فتيان الترك الى ألمانيا وإشهارهم علينا الحرب ، الا أن الرأي العام عندنا كان ميالاً اليهم وبقي كذلك حتى بعد وقوع الحرب ، ومرجع تلك الحالة النفسية الى كبار القصصيين عندنا في الماضي والحاضر ، ونحن الآن في موقف البحث في السياسة واستجلاء الحقائق .

كانت تركيا في كل حين تبرز بمظهرين ، الاول مظهر الفاتح العائش من خيرات البلاد المكتسحة ، والثاني مظهر الضعيف في أوقات معلومة والمضطر الى فتح الابواب اللازمة للتجارة العالمية والطامع بنيل الموارد المالية من أوربا والخاتم أعماله دائماً بافلاس احتيالي . فكانت بتساهلها ببقاء الرعية مقيمة في بلادها تستغل أعمالهم الكبيرة ، أما اليوم فلم يبق شيء من ذلك ، فطوت تركيا صفحة الماضي بعد التروي وأخرجت من بلادها الاجانب فحملوا معهم الى مقدنية والمورة الصناعة والتجارة اللتين كانتا في أزمير والاناضول ، وبقيت وحيدة وليس لديها موارد غزيرة . فماذا تنتظر ؟

ان الحصيف يدري انها لا تستطيع البقاء مدة طويلة في هذا الموقف الحرج وأنها لا بد لها من الخروج منه كيفما كان الامر ، فمصطفى كمال يأبى العودة الى الخضوع لسلطة الدول الكبرى المالية ، وهذا الرجل المقدام ينظر الى المستقبل البعيد .

ووقعت إليّ سنة ١٩١٧ مسودات كتاب نفيس عنوانه « الاسلام وسياسة الخلفاء » لمؤلفه (الدكتور انساباتو) الايطالي العالم والرحالة الكبير ، وقد حالت المراقبة دون ظهور ذلك الكتاب قبل سنة ١٩١٩ ، فالمؤلف أودع كتابه أموراً تمت فيما بعد أي تصيير تلك البلاد « علمانية » ، وبعبارة أخرى نبذ الخلافة والجامعة الاسلامية ، وهو السلاح الذي لا يجدي نفعاً ، والتحول نحو الماضي ، فعاد التركي مغولياً وصاروا في المدارس يعتبرون (جنكز خان) كالله ، وفكروا في تهيئة القوم لانتحال البوذية ديانة لهم .

وقد تحققت جميع تلك الاحلام ما عدا الاخير منها فانه لم تتمخض به الافكار بعد ، وأصبحت العلاقات السرية بالتتر والمغول أمراً مفعولاً ، فمصطفى كمال يرمي بانظاره الى الشرق الذي تأتيه منه العلامة والمساعدة ، وقد فارقه الخوف من أوربا . بعد حادثة أزمير .

ان رئيس الجمهورية التركية سبق ونهج الطريق الذي سار عليه فيما بعد مسوليني وبريمو دي ريفيرا ، عرف كيف يكهرب شعبه ويكفيه مؤونة ذل السؤال والاستسلام وينفث فيه روح القوة ، وهو لا يستند الى جيرانه الا حين يرى في ذلك الاستناد جر مغنم لبلاده ، وهو شديد التحفظ من الجميع على السواء .

فصاحب انقره يضحك من جهودنا لاعادة الصلات السياسية والاقتصادية بيننا وبينه ، واذا منح بعض المرافق اليسيرة فأنه انما يفعل ذلك لينفسح له الوقت ويثير المناظرات ، وماذا يخاف ؟ غداً يمكنه ان يعود الى إقفال مدخل الدردنيل فتتكرر مأساة سنة ١٩١٤ . أما ديونه فلا يحفل بها ، ولا يخشى أن يقذفوه بسببها بادنى صاعقة ، وهو ينظر بهزء الى الحلفاء يتخاصمون من جرائها

ولما لم يتمكن الحلفاء أو لم يريدوا سنة ١٩١٨ أن يقلموا أظفار الامة التركية ويضيقوا عليها الخناق ويوحدوا عملهم بشأنها ويفرغوا من أمر ذلك العنصر المثير لنقع الاضطراب عرف أصحاب السلطة في تركيا أنه خلا لهم الجو وانهم يستطيعون العمل على هواهم

على انهم لا يمكنهم أن يظلوا على ماهم عليـه في الحالة الحاضرة اذا شاؤوا الحياة، فهم يحتاجون إلى مال وأرض وبلاد يستغلونها . فعلى من وعلى أي شيء يعولون ؟ انهم يعولون على المناظرات بين الحلفاء واستحالة وجود اتفاق جديد بينهم . ثم على اخوانهم في الاصل حتى في بلاد الصين ، وتيبت ، وبعد ذلك على العرب المستائين — أعداؤهم بالامس — والمصريين والهنود ، وآخراً على المانيا فهي تسعى لاستعادة مركزها السابق المهيأة الاسباب لأصابته ، وعلى المجر وبلغاريا . وهم ولا مراء سيقبلون معاضدة السوفيات لهم مع تحـذرهم منهم ، فالبلشفيك من هواة الاستعمار وهم يتحدون الخطة التي رسمها بطرس الاكبر ، وسنعود إلى معالجة هذا الموضوع .

وعلى من تقع الطامة في بدء الامر ؟

ان تركيا تعتبر لبنان وسورية وفلسطين والشرق العربي والعراق بمثابة « الزاس ولورين » وإن لم يـكن ثمت مستطاعاً وضع مشابهة بينها ، فالعرب المستاؤون من الحالة التي اوصلتهم اليها الدولتان المنتدبتان كثير عديدهم وقد وجهوا انظارهم الى الترك الذين كانوا يمقتونهم بالامس . والترك شاعرون بهذه المناصرة ومتحققون بان فرنسا وبريطانيا غير قادرتين على مواصلة حرب ناهكة في تلك الاقاليم من جراء حالة قواها الحربية وماليتهما وما يتصـدى لهما من المعاكسة في بلادها والمقاومة المصحوبة بالمتالف عند حدودها أو في ممتلكاتهما وهم يتوقعون فرصة مؤاتية للعمل . فخطورة الحوادث في سورية ومسألة الموصل تحركان فيهم ساكنات الوطنية . ولا يغرب عنا أن مهارتهم في السياسة فيما يتعلق بالموصل ودهاءهم لتأخير اصدار القرار بشأنها مكناهم من عبور الشتاء واكمال تسلحهم .

أجل أن من مصلحة تركيا ، بحسب النظرية الاوربية، أن تميل إلى السلم العالمية وأن تعود الى فتح أبوابها في وجه «الرعية» وأن تقبل المساعدة برؤوس أموال الاميركيين والبريطانيين وان هي أبت قبول تلك الدعوة المكررة التي تأول الى اعادة تنظيم البلاد واستثمار جميع مواردها الغنية، وإن هي ألغت امتياز

مناجم أرغونه الممنوح على التوالي لفرنسا سنة ١٩٢١ (اتفاق انقره الاول) ثم لشركة تشستر ، وهي لا تزال غير مستغلة وان هي نبذت كل اتفاق يتعلق بامتياز تشوقور اوفا الزراعي المعطى للفرنسويين ، وقد أجر قسم منه موقتاً الى شركة بلجيكية ، فما غايتها من ذلك إلا بقاءها منتظرة البر بالوعود وحرة في العهود وبمنجاة من كل تعد وعرقلة ، مع ما هو طارىء عليها من المعضلة الاقتصادية الآخذة بالاشتداد .

ان الصادرات قلت مقاديرها بشكل محسوس على إثر إخراج الاجانب واحلال نقابات محلية محلهم ليس في ماضيها واعمالها ومعارفها مايلائم مقتضيات الاحوال فالواردات زادت ضعفي الصادرات ، وقد اقفر ميناء الاستانة ولم يبق من أثر لميناء أزمير .

ان دولة وان لم تكن كبيرة ضمن حدودها الحالية وانما هي كبيرة بماضيها وخطيرة بموقعها عند مدخل اوربا وآسيا وفيها زعماء ذوو عزائم من أمثال مصطفى كمال لا تبقى في هذه الحال ان لم يكن لها من غاية مضمرة قريبة . فهي لا تزال مسلمة وان تكن قد أصبحت جمهورية وطردت الخليفة نابذة ما في وجود ذلك الرئيس الديني بين ظهرانيها من الفوائد الادبية ، تلك الفوائد التي كان لها في مقابلها عهود عالمية وتدخل الدول في شؤونها . فلا يسعها والحالة هذه أن تظل عديمة الاكتراث لما يتهجمون به على العقائد المقدسة ، فابناؤها يزاولون فروض دينهم ونوافله وهي تتبع بتيقظ سير التحولات الحالية ، وهي مستعدة للتدخل عند مسيس الحاجة .

ولا نلبث ان نبصرها دولة منيعة الجانب ما لم تقم حكة الحلفاء قوة أخرى هائلة لمقاومتها .

— ٤ —

مصر

لما منح سعيد باشا خديوي مصر رفيقه القديم « فردينان دي ليسبس » امتيازاً باحتفار ترعة السويس أنكرت بريطانيا العظمى ذلك الامر وحركت جميع العوامل لعرقلة ذلك المشروع من الجهة المالية ، ورد اللورد بالمرستن هجمات خصومه عليه فى مجلس العموم بقوله : « ان السفر الى الهند والصين يتم بسرعة بطريق الترعة ولكنه سيجر الى احتلال بريطانيا العظمى لمصر ويكون سبباً لحروب هائلة تتحطم فيها الامبراطورية » .

هذه كلمات نبوءة تقرب من كلمات مصطفى كامل المنشورة فى كراس سنة ١٨٩٩ تحت عنوان « نتيجة احتلال انكلترا لمصر » فهو يقول في المقدمة ما معناه :

« والآن أوجه كلامي الى رجال السياسة ، فقد شئت أن أبين لهم بالايجاز الاعتبارات المادية القاضية عليهم بالسعي لخلاص مصر ، فانهم بتركهم السيادة الانكليزية تسحق هذه البلاد ... يوقدون في العالم طراً نار حرب لا تنطفىء »

ويقول فيما بعد :

« ان الدولة التي توفق الى الاستيلاء على وادي النيل وصيرورتها صاحبة السلطان المطلق فيه تصبح صاحبة السيادة الحقيقية في أفريقيا . . . وما عدا ذلك فانها بحكم النتائج المنطقية تصيب قوة تسود بها على سورية وتخضع بيت المقدس لمشيئتها .

وتصير هذه الدولة عينها بتملكها للسويس والقصير وسواكن صاحبة نفوذ لا يعارض فى البحر الاحمر ، وعلى هذا المنوال تصبح جدة مهددة كل وقت .

فيسد الانكليز بجنودهم المرابطة في بريم والقصير وسواكن والسويس طريق

الحج عند مسيس الحاجة ويكون من وراء هذا الامر استعباد الدولة الانكليزية لجميع المسلمين .

واذا كان ضياع بيت المقدس قد هاج فيما مضى العالم الاسلامي فكيف تكون الحال بضياع مكة ؟

وستكون النتيجة الاولى لوصل السكك الحديدية المصرية بسكة حديد سورية إخضاع فلسطين لسيادة الانكليز حالما يصير هؤلاء أصحاب مصر ...

واما أن يصير صاحب سورية صاحب السيادة في مصر على ما هي عليه الحال الآن واما أن يستولى صاحب مصر على سورية حين يأنس من نفسه قوة على ذلك .

فانكلترا المضروب المثل بجشعها لا يقل طمعها بالفتح عن طمع بونابرت به في مثل تلك الاحوال ، وحينئذ يجري حادث خطير وهو سقوط بيت المقدس في حوذة البرتسطانطية .

وهب رضي البابا والقيصر بهذا الامر المفعول ، وان يكن حدوثه مستصعب التصديق فماذا يقول المسلمون ، وهم مع تفرق كلمتهم فى الحروب الصليبية تمكنوا من الدفاع عن الحرم الشريف وفلوا حد النصرانية المتألبة .

فليس من سبيل لغير دولة اسلامية لتملك القدس الشريف ، وفي حروب الصليبيين برهان قاطع من بين الوف البراهين على هذا الامر ، وان السلطة الاسلامية دون سواها قادرة على نصب الميزان بين جميع المذاهب والاديان المتنازعة على موطن انبياء اسرائيل وهيكل سليمان .

وقد يصبح فقدان بيت المقدس . . . علامة حرب هائلة بين أصحاب جميع المعتقدات الدينية ، اذ ليس لامة من الامم اختصاص بالاستئثار بالتسلط على الاماكن المقدسة . . .

ويستنتج مما تقدم بيانه ان في احتلال بريطانيا لمصر خطراً يهدد العالم طرًا .
ولا يقتصر عمل رجال السياسة العاملين لتحرير بلادنا على تتميم واجب

تقتضيه العدالة والمرؤة بين الدول وانهم يمهدون في الوقت عينه سبيل تسود السلام في العالم برمته وقطع عهود بين الاسلام والنصرانية وآخراً تعزيز مجد المدنية الغربية . »

وكان نظر العصبة العرفاتية ومصطفى كامل مصيباً ، فهل يمكن أن يزاد شيء على ذلك الآن ؟

ان مصراً لا تغضي الطرف أبداً عن اخلال بريطانيا بمواعيدها وتكرارها العبث باستقلالها بعد الحرب حتى يومنا هـذا ، فقد ارتكبت حكومة لندن هفوات فى هذا الصدد .

وكانوا في مصر ميالين بعـد عقد الهدنة الى ارضاء بريطانيا فى ما يتعلق بالدفاع عن ترعة السويس ومنفذيها بورت سعيد والسويس ، وكانوا ينتظرون في مقابل ذلك نيل حريتهم بصورة نهائية وتامة مكافأة لهم على ما أمدوا به الحكومة البريطانية من المساعدة القيمة في أثناء الحرب العالمية وانجازاً لمواعيد تلك الحكومة الرسمية .

فخابت أمانيهم ، ولا حاجة لنا لاعادة ذكر الحوادث التي يعرفها قراؤنا ولكن نقول أن وطأة المحتلين اشتدت في مصر ، وستظهر نتائج سياسة الاستعباد هذه عند استفحال الخطوب واشتباك القوات البريطانية في احدى الحروب في جهة من جهات المعمورة ، وكأنهم يخشون في لندن شيئاً من هذا القبيل ، فقد اتخذت سنة ١٩٢٥ تدابير خاصة لصيانة الترعة ذلك الوريد الحيوي للامبراطورية البريطانية .

ولعمر الحق لا ندري السبب الذي من أجله يندفع جيراننا ذلك الاندفاع نحو الاستعمار ، فهل لهم ثقة كبرى بقواهم الحربية والبحرية وجنيهم الانكليزي ؟ أو هل يعتبرون ذلك مسألة استعلاء وضعت في غير موضعها ؟ أو هل يخشون تنقص سؤددهم بقبولهم ذلك الانسحاب المرافقة له السلامة ؟ وسواء كان ذلك استعلاء أو حماقة فانه في غاية الجـلاء ، وعندهم ان طريق الهند يجب أن يظل حراً وأن تبقى جميع الاراضى المحيطة به تحت سيادتهم .

ان مصر انتبهت الى مكانتها التاريخيـة وتذكرت بافتخار ما كان لها من

الملوك والعلماء والغنى والصولة القديمة ، وهي تدري أنها القطب الدائرة عليه رحى السياسة الشرقية وتشعر بأنها منتدبة لتمثل دورها في الحاضر والمستقبل وأن أبناءها يستعدون لذلك .

وآخراً نقول ان مصراً اسلامية ، وهي ترحب بجميع الاديان والطقوس ، وقد نبذت من عهد بعيد تنكيد عيش ذوي المعتقدات الدينية المخالفة لمعتقدها على ان ذلك لايحول دون بقائها مركزاً للعلوم والمناظرات الدينية الاسلامية ، فجامعة « الازهر » طائرة الشهرة في العالم كله ونفوذها ممتد الى جميع البلدان في العالمين القديم والجديد ، وفيها ما يزيد على سبع مئة طالب يأتونها من بلاد الشام والهند والعجم ومراكش والحبشة وبوسنيا وروسيا والبلقان والترنسفال وفي القاهرة مركز اللجنة الاجرائية العليا للخلافة . وفي هذه العاصمة توضع المقررات المتعلقة بالدين الاسلامي ، ومعلوم أن للمحيط تأثيراً شديداً بذلك . فيجب على بريطانيا أن تنتبه إلى هذا الامر وتتأمل في ما نشر في جريدة وادي النيل الصادرة في مصر بتاريخ ٣ ابريل سنة ١٩٢٦ وهذا ملخصه :

« . . . أفلا يذكرون أن مصراً كانت في أثناء الحرب الكبرى مشاطرة لبريطانيا عند اشتداد الملمات وانها قدمت لها ملايين من المصريين جادوا بنفوسهم في سبيل انتصارها ؟ وما أغرب ما كان منها في تقدير تلك الخدمة !

فكيف والحالة هذه يطمعون ببقاء ذلك التكاتف في جو انشأته بريطانيا وملأته بشدة وطأتها ونقضها لعهودها المبرمة ؟ أو لم تقبل بريطانيا رفع حمايتها واعلان استقلال مصر وانشاء حكومة دستورية فيها ؟ فاين هو ذلك الاستقلال وأين هي أدواته ؟ أو لا تمتد يد المفوض السامي الى جميع فروع الادارة حتى الفرع الذي كانوا دائماً يحترمونه ؟ وأين هي الحكومة البرلمانية التي وافقت على منحنا اياها ؟ أو لم تعرقلها مرات متوالية ؟

يقول المفوض السامي أن هذا التكاتف البريطاني المصري يجب أن يظل موجوداً لاجل مصلحة البلادين اللتين يهمها ذلك . فعلى أي قاعدة يبنون ضرورة بقاء ذلك التكاتف ؟ فحسب مصراً ما سمعته من الكلام فانها تبغي الآن عملاً جدياً

أما الجواب على هذه المطالب العادلة فقد سبق للصحف البريطانية أن نشرته وهذه خلاصته :

ان سياسة توحيد الادارة في مصر تجر الى زيادة العداء لبريطانيا في الاندية المصرية الرسمية . . . وهذا دليل على أن البلاد عاجزة عن تولي شؤونها بنفسها وادارة الارث الوطني ادارة ملائمة . »

ليس من الوجه المنطقي أفضل مما تقدم بيانه ، فان طلبكم استقلالكم دليل على عجزكم . ما أغرب هذه العقلية !

— ٥ —

شعوب الشرق الاخرى

تضاف الى المخاطر المهددة من الشمال والجنوب الغربي المخاطر المهددة من الشرق والجنوب الشرقي

فقد نشرت جريدة « الماتان » من بضعة أشهر أخباراً عن خطة الشيوعية الهجومية في آسيا تحت تمويه الوطنية (٧ سبتمبر سنة ١٩٢٥) ولا تخلو اعادة نشرها من الفائدة :

« ان الخطة العامة التي قررت جمهورية السوفيات المسير عليها لتهيئة الثورة العالمية لم يلق مدبروها ستار الكتمان عليها ، فالبلشفيك جاهروا بانهم سيبذلون الجهود في آسيا لبلشفة بلاد العجم وتركيا وافغانستان وتحريشها على بريطانيا ، وقد جرت في ذلك على ما يخالف المبدأ المأثور «فرق تسد» فضمت شمل العجم وتركيا وافغانستان بدعاية كانت جزيلة العائدة متوقعة ريثما يتسنى لها الهجوم العام المقرر في خطتها .

وارسلت بموجب تلك الطريقة الكومنترن (لجنة الجمعية الدولية الشيوعية) وشائجها حتى في أقاصي القارة الآسوية ، ومن المفيد أن نعلم ما يجري من الاعمال في منغوليا والصين والعجم وتركيا وافغانستان .

في منغوليا

ان منغوليا التي باتت دولة « مستقلة » أمة خاضعة كل الخضوع لسيادة البلشفيك ، فالاحكام فيها تجرى بحسب القواعد التي وضعها ممثل السوفيات ، وقد جعلها قبل كل شيء تغير اسم عاصمتها أورغا ، فهذه المدينة صارت الآن

تدعى (أولان باطور) ، ومعنى هـذا الاسم الرمزي (البطل الاحمر) . وتعتبر أولان باطور مركز الدعاية البلشفيكية في منغوليا ومركز أركان الحرب العام « للجيش الاحمر المنغولي » وهـذا الاسم أطلقته عليها الحكومة الشعبية في منغوليا بقرار أصدرته في شهر يونيو الماضي .

وأنشئت في مفتتح سنة ١٩٢٤ في هذه الدولة مدرسة لاركان الحرب العامة تضم الجيش المنغولي كله بنظام عسكري وسياسي يتقيد بأوامر موسكو . وجعلت فيها الخدمة العسكرية اجبارية بحيث أصبح اعقاب قبائل جنكزخان العابث بهم الفساد مقضياً عليهم بأن يلبوا النداء للاشتراك في النفقات العسكرية . فالجيش المنغولي ربيب وتلميذ الجيش الاحمر في الجمهورية السوفياتية .

وقال دنزان ممثل جمهورية موسكو الشعبية ان هذا الجيش الكامل العدة والمدرب على الحرب سيسلك مسلك جيش السوفيات لبلوغ الغاية التي يرمي اليها وهي المحافظة على فتوح الثورة والدفاع عن مصالح العمال وحقوقهم .

واحتفلت منغوليا في شهر يونيو الماضي في أولان باطور بالعيد الرابع لاستقلالها ، فعقد اجتماع كبير شهدته جمعيات تنظيم الحزب الشيوعي المنغولي وفئة النساء واتحاد الشبيبة وجمعيات الحرف المنغولية والصينية . فخطب ممثل الجنرال (فنغ يون سانغ) الصيني وعضو من أعضاء الكومنترن خطباً مهيجة وأطنبا بفوائد الاتحاد بين الصين وجمهوريات السوفيات الروسية ومنغوليا التي تدافع جيوشها عن استقلال العمال عند تلك الشعوب المختلفة .

وتكلم لنداي ممثل السوفيات الجديد في منغوليا بالمعنى السابق عينه معرباً عن أمانيه برؤيته جميع الاحزاب تعترف في السنة القادمة بالجمهورية المنغولية . وربما يتم ذلك جلب الى منغوليا في بحر هـذه السنة من « فركتيودنسك » بطريق كيا كتا ٣٠ مدفعاً و ٦٠ رشاشاً و ٥٠٠٠ بندقية من الطراز الروسي ، وغشي منغوليا رهط من عمال السوفيات لتدريب الجيش وتجهيزه بالمعدات الحربية ، وجاءتها بعثات تجارية وطائفة من علماء طبقات الارض والجغرافية ، وكانوا يعنون عناية خاصة بدرس البلاد حتى الجهات القاصية منها ، وأصبحت هذه البلاد مستعمرة للكومنترن بالفعل .

في الصين

وأخذ السوفيات طريقاً ثانياً لدخول آسيا وهو سكة الحديد في شرق الصين، والطريق البحري الممتد من فلاديفوستك الى ثغور الصين الشرقية والجنوبية، فكانت تنقل الاسلحة والاموال من تلك الناحية ويدخل خطباء الثورة ومحركو عوامل الفتنة المرسلون الى الصين الشرقية والجنوبية .

في أفغانستان

وكانت أفغانستان تنظر الى جمهورية السوفيات بعيني أميرها الذي وصف لينين « بأنه حصن المدنية البشري » ، على ان غزوة أفغانستان وغزوة قسم من بلاد الفرس تتمان من جهة حدود تركستان الجنوبية .

وأرسل الى أفغانستان في خلال هذه السنة أسيطيلان جويان يركبهما طيارون حمر ومعلمون للطيران معهم مئتا رشاش ، واشتركت طيارات السوفيات اشتراكاً فعلياً في القاء القنابل على قبيلتي المنغال والجادران الثائرتين في خوست عند أواخر سنة ١٩٢٤ وأوائل سنة ١٩٢٥ ، ورسخت أركان النفوذ لجمهورية السوفيات في أفغانستان بعد اخماد نائرة تلك الفتنة .

العجم وتركيا

ويبتدىء الطريق الرابع لغزوة السوفيات في آسيا في أذربيجان وينتهي في بلاد العجم والاناضول ، ففي أذربيجان مدارس يلقي الدروس فيها محركون شيوعيون من الترك والفرس ، ومركز عملهم في باكو ويبلغ في الاناضول عدد مراكز الدعاية الشيوعية سبعين ونحو خمسة في بلاد ايران

ومن المسائل التي يعنى بها الكومنترن في آسيا مسألة جعل الخلاف متفاقماً بين الانكليز والترك في فلسطين وتحريك القبائل العربية في العراق وفلسطين ولهذا الهياج حجة خطيرة في الضغط الناجم عن الاستعمار البريطاني في تلك الأقاليم على ما هي عليه الحال في البلاد العربية والقطر المصري حيث انتشر روح التحرر بين الفلاحين انتشاراً عظيما

ولقد أصبحت أعمال البولشفيك في الهند مشهورة عند الجميع ، وآخر عمل ــ اعتصاب عمال لاهور ــ صادر عن الشيوعيين الهنود ، وقد نظم السكرتير العام لاتحاد عمال لاهور جيشاً حقيقياً من ثلاثين الفاً من أنصار السوفيات ،

فقويت بعمله هذا آمال الكومنترن

استقينا هذه الاخبار من مورد الرسائل الاخيرة الواردة من مهاجري الروس الشديدي الاهتمام بخوض مجال هذه المسائل . ويستفاد من ذلك أن تلك الاحوال لا تهيىء في القارة الاسوية مستقبلاً قريباً تسود فيه الراحة »

لقد اطلع جميع الناس على كتاب المسيو اوسندوسكي المعنون « الوحوش والبشر والآلهة » وتلقوه بشيء من الريب ، وهذا ما يجري دائما حين يقول الناس الحقيقة وحين ينظرون الحوادث قبل وقوعها . ومع ذلك فان ما بسطه المؤلف مفصلاً من الدقة مما أقلق الخواطر كان من شأنه أن يفتح الاعين ، فقد تم ما تنبأ عنه .

ان روسيا خليط من جميع الاجناس والاديان ، فبعد ما كانت ارثوذكسية في جهاتها الغربية أصبحت مسلمة فبوذية . وقد استطاعت أن تستميل اليها شعوباً مختلفة صيرتهم حلفاءها من دون أن تستند فى ذلك الى الجهة الشيوعية ولكن بسيرها على خطة « تحرير الشعوب المظلومة »

وهي تواصل عملها بأناة لاتدنو منها الملالة ، ويساعدها في ذلك ما يرتكبه حلفاؤها الاقدمون من الهفوات المكررة . ويحسن بنا لاجل بيان مبلغ هذه الهفوات أن نذكر مثلاً ما يحرك حكومتنا من العوامل وما يهزها من الافكار .

نشرت صحيفة « الليبرتاي » (الحرية) في ٢٢ يناير سنة ١٩٢٥ الحديث الآتي للمسيو ارنست اوتري أحد الحكام السابقين ونائب الكوشنشين الحالي في مجلس النواب :

« . . . ان آسيا تنتحل مدنية الغرب على مثال اليابان ، وتتألف عوالم جديدة في الهند والصين وسيام كما تتألف في بلاد ايران وتركيا والبلاد العربية بتأثير الافكار الوطنيـة ، فلم يبق للدين ما كان له من التأثير في تأليف تلك الوحدة لتنظيم دول يختلف اتساع دوائر الاقتصاديات والادبيات في البعض الواحد عن البعض الآخر منها . ولم تبق الاسلامية مثلاً ولا الكنفوشية ولا البوذية صلة لارتباط أبنائها بعضهم ببعض .

ان الفكرة المسددة الخطوات في تلك الحركة الكبيرة والمنتشرة في العالم الاسوي هي استقلال الشعوب ، فانها مجريها جرياً حثيثاً على قواعد الحيـاة الحديثـة ترى أن الساعة دنت لتحقيق نظرية ولسن بما للشعوب من الحق

بتولي شؤونها بانفسها . فلا يخفى على العرب وأبناء الجنس الاصفر وغيرهم من الاجناس المار ذكرها مقدار سطحية ماانتحلوه من مدنية الغربيين ، فلا النذي ولا السيارات ولا الملابس الاوربية تضمن اصابة حضارة اقتضت جهاد عشرين قرناً .

وكيفما كان الامر فالعالم العربي والعالم الاصفر يعتقدان أنهما بلغا سن الرشد بالنظر الى التمدن الاوربي ، وقد عززت تلك الفكرة في شعوب آسيا فئتان منقادتان لعوامل الجنسية : ترك أنقره للشعوب الاسلامية ، واليابان للشعوب الصفراء . وثمت ماعدا هذين القطبين الجذابين نظريات البلشفيك فانها باضرامها الرغبة في الصدور في نيل الاستقلال الناجز تضاعف جهودها المقصودة كما لايخفى بدعاية متسعة الدائرة

... والى جانب السياسة السائرة عليها كل دولة تقضي الحال باتخاذ الدول المستعمرة تدابير عامة بينها ، فليؤلفن بينهن صلة لمقاومة الخطر الاسوي البلشفيكي ، فللعالم الاسوي في الآونة الحاضرة شاعره رابندرانات طاغور الداعي الى الوحدة الاسوية ، وهذا الشاعر الداهية يتغنى باتحاد جميع الاجناس الاسوية ، وينظم القصائد الحماسية لايقاظ آسيا من رقدتها . الا أنه يذهل أن لتلك اليقظة فجراً ليست أصابعه « مغموسة بماء الورد » نظير الفجر الذي يذكره هوميروس بل مغموسة بالدم . ومعلوم أن آسيا لم تبلغ حتى الساعة شأو أوربا فتنبذ السير بحسب ما توحيه اليها ذكرى تيمورلنك القديمة .

وعليه فامام بلادنا اوربا مهمة التمدين ، ولا بد لهـا من صيانة السلام في العالم ، وقد كانت الشعوب الكبرى ولا تزال وصية على الشعوب الحديثة ، التي لا تلبث أن تنتشي بخمرة الحرية الواسعة »

ما أغرب هذه النظرية ! أوهل تكون الشعوب الشرقية غير جديرة بالحرية لانهـا لم « تتغرب » وهي قد اقتبست اكتشافاتنا الاخيرة ؟ فانا أقمت سنين كثيرة في الهند الصينية كما أقام فيها المسيو أوتري ، ودرست شرائع تلك البلاد العريقة في المدنية وعاداتهـا وأنظمتها ، وكثيراً ماكنت أناجي النفس قائلاً ما أحوجنا الى أخذ أشياء عديدة عنهم ، ولم يخالج ضميري قط أننا مستأثرون بالمعرفة السامية .

ان مثل هذه الفكرة المبنية على التسود والتفوق العاملين نحن على ابرازها

الى حيز العمل مع شعوب كعرب الشرق ستجر ولا مراء الى فتح ابواب الويلات.

لقد تملصت بلاد ايران الغنية من السلالة المالكة القديمة لمبالغتها في السير على سنن الأوربيين واختارت رضا خان المبالغ في وطنيته مليكاً عليها ، وكان من وراء ذلك حبوط النفوذ البريطاني فيها . فالفرس المولعون بالاستقلال والمتبرمون من رؤية بلادهم الغنية بالمعادن والذهب والبترول الخ مطمحاً لأبصار جيرانهم ميالون لعقد محالفات هجومية ودفاعية ، وقد ابرموا مع تركيا وثيقة الحياد .

وهم بصفة كونهم مسلمين شيعيين يراقبون باهتمام كل مايجرى في شبه جزيرة العرب .

وتسلك أفغانستان وبلوخستان مسلك ايران ، وهذه الأقاليم الثلاثة لاتنفر من التمدن الحديث بل ترحب بمن لايسعون لاستعبادها .

أما الهند فلا يخفى على أحد مافيها من غليان الافكار ، ومما يحسن التذكير به هو أنه في خلال الفتنة الشهيرة التي أطلقت عقالها قبائل السيباي كانت بريطانيا العظمى مصادقة لسلطان الاستانة ، وكانت تنال منه كل رغائبها ، ففاوض الخليفة مسلمي الهند (٦٥ مليوناً) وكان الفضل لهؤلاء المسلمين في تقليم أظفار تلك الفتنة .

وقد تبدلت الأحوال في ايامنا هذه فان لمسلمي الهند المتزايد عددهم يوماً فيوماً صلات وثيقة بجميع اخوانهم المسلمين في كل أنحاء المعمورة ، وهم يمدونهم بالآراء والاموال الوافرة .

وآخراً نقول ان مسلمي الصين انصار للسوفيات .

٦

البلدان العربية المشرقية

بحثنا في حقيقة موقف الشعوب المحيطة بالبلدان العربية ، والآن نبحث في موقف هذه البلدان وحالتها الحاضرة ، وهنا عقدة المسألة الشرقية بجملتها . فبالخطة التي نسير عليها نحن وبريطانيا ، أو نسير عليها وحدنا — اذا أبت جارتنا فهم الحقيقة أو اذا سعت للحلول محلنا أو للتسلط علينا أو لخداعنا — تتعلق السلم أو الحرب . فلنعزم على تغيير خطتنا ولنرسل الى تلك البلدان رجالا أشداء

أ كفاء بغية الوصول الى الغاية في الحين الملائم . فنحن قد تأخرنا كثيراً .

ان الشرق العربي يتناول دولاً مختلفة فمنها ماهو مستقل ومنها ماهو خاضع لطريقة الانتداب وبعضها منوط بالسيطرة البريطانية (حضر موت وعمان) .

وقد سعى الانكليز طيلة سنين طويلة بأسلوب مقرون بالحنكة لتوطيد دعائم سيادتهم على الخط الايمن الذي سبق لنا الكلام عنه

ومهدوا الطريق لذلك بتأليف « عصبة السلام » في الخليج الفارسي ، وانشاء قنصلية في بندر ابا شير ، وحماية أمير الكويت ، ومعالجة الدرس بدقة مع السير وليم ولكوكس للترع القديمة التي كانت تذهب كل مذهب في العراق ، وتولي الصلات الولائية مع كبار أمراء العرب . فهذا السعي البطيء والمتأنى به سارت عليه وزارتا الخارجية والمستعمرات في بريطانيا سيراً مطرداً بفطنة يجمل بنا أن نستفيد منها .

من عشرين سنة أودعنا كتابنا الاول عن البلاد العربية المعنون « الدول والفتنة العربية والمعضلة العالمية المستقبلة » مايكشف الغطاء عن المنهاج الذي تتحداه بريطانيا بمدها خطاً حديدياً من بورتسعيد الى العريش فواحة الجوف فالكويت ، وبذلنا المجهود للفت نظر القابضين بأيديهم على أزمة الاحكام عندنا الى تلك المسائل الخطيرة . ولابد لنا من القول ان السادة شارل دوبوي وريبو ودومر وبوليا وبول لروى بوليو وجيرو رئيس الغرفة التجارية الفرنسوية في الاستانة جادوا علينا بمساعدتهم الادبية لتنظيم بعثة اقتصادية تنطوي على غاية سياسية مكتومة ، الا أن أرباب الصناعة الذين يهمهم هذا الأمر بنوع خاص لم يوافقونا على ذلك المشروع ، ولم يكن بالطبع لدى وزارة خارجيتنا اعتمادات أو أموال سرية لهذا العمل المفيد وقد بلغتنا ذلك كتابة ، على أن العالم العربي طراً كان ميالاً الى خطب ولائنا (١٩٠٦) .

وكانت فرنسا مقتنعة بمركزها الأدبي القديم وقد خولها اياه لقب « محامية النصرانية » مع ما كانت إيطاليا بعد سن شريعة الانفصال قد انتزعت منا شيئاً من نفوذنا ، وكنا أيضاً راضين بما منحناه من الاعمال بموجب امتيازات في البلاد العثمانية وبسكك الحديد التي نلنا امتيازها وبالتجارة المحصورة التي كنا نزاولها . وكانت قد راجت في البلاد الداخلية سوق تجارة مناظرينا كالمانيا والنمسا وبريطانيا وايطاليا . ولا يخفى أن سياستنا القصيرة المدى والمتقلبة مع كل وزارة

لم تتمكن من احاطة المسألة بجميع أطرافها ، وما عدا ذلك فمن يعرفها معرفة حقيقية ؟

وكانوا من ذلك الحين يلاحظون اختلافاً شديداً بين بريطانيا العظمى وفرنسا فالاولى كان شعارها « التسلط » ونحن كان مبدأنا « الاستفادة » على أن نابليون الاول كان قد أبصر واستدرك ، فتقاريره عن مصر لا تبقي حاجة في نفس يعقوب ، وكان نابليون الثالث بعيد النظر في هذه القضية لما بعث بلغراف الى بلاد العرب الوسطى (١٨٦٢ — ١٨٦٣) فقد كان في ذلك العهد مبدأً يحومون حوله

وكان من وراء دخول المانيا في الشؤون الشرقية تغيير في كثير من التدابير وقد عرضت واسطة لدول التحالف لتثبيط تقدمها ، فانشئت عصبة عربية وطنية من سنة ١٩٠٤ وقد بدت طلائعها في البلاد العربية نفسها واجتمعت كلمة أعيان المسلمين والمسيحيين على تقاضي الاصلاح ، وكان الضباط العرب في الجيش التركي منتظمين في سلك تلك الجمعيات السرية ، فكان يكفي لاشعال النار مساعدة من المساعدات ولو كانت تافهة

وكان ميسوراً في سنة ١٩١١ (الحرب الايطالية التركية) وسنة ١٩١٢ (الحرب البلقانية) انفتاح باب الفتنة على مصراعيه بضمان مناصرة الجنود العرب وكانوا من العراق الى البحر الرومي متحفزين لاعلان الاستقلال ، وكان في النية إقامة خليفة جديد في مكة بحيث تكون له السيادة في الحجاز . وكان العالم العربي قد أصبح حليفنا وضمن التفوق الاقتصادي والسياسي لدول الحلفاء (أو للدولة التي تمده بالمال لاضرام سعير الثورة) على طريق آسيا . ولم يكن شيء من الاشياء في ذينك التاريخين يحول دون نجاح المسعى المبسوط بصورة جدية لدى الحكومات ذوات المصلحة .

ونرجو من القراء أن يمهدوا لنا العذر مرة أخرى أيضاً عن الاستشهاد في هذا الصدد بكتابنا « الثورة العربية من سنة ١٩٠٦ الى أيامنا هذه » الذي ظهر حديثاً . ففي المجلد الاول نورد جميع الشواهد الرسمية ولا يخفى الآن ما كان يمكننا أن نجنيه من الفوائد من وراء تلك الثورة .

ولقد أجمع القوم على نبذ كتابنا الآنف الذكر ، على ان هذا النبذ انما صدر عن الحسد أو الجبانة أو المصلحة (لبعض جماعات) أو لاعتبارات سياسية

مخطئة المرمى ، وجعلت الامم الـكبرى يتوزعن أسلاب تركيا المستقبلة دون أن يكترثن لما ينجم عن ذلك من وقوع حرب بتقطيع أوصال الاناضول على ما كن ينوينه .

« ولكن أو لم يكن لفرنسا وروسيا حتى ولبريطانيا مصلحة برؤيتهن شعوباً تتألف في الاناضول المتقسمة من دون مراعاة للمبادىء الجنسية ؟ أولم يستهدفن لخطر اشتباكهن بحرب عوان مع المزاحمين في بدء الامر ثم لرؤيتهن مشاهد اضطراب داخلي بين شعوب قد يتقاسمنها مع غيرهن من الدول وتكون مع ذلك تبتغي الانضمام بعضها الى بعض ؟ . . . »

ولما انحازت تركيا الى أعدائنا كان الجيش العربي كله مستعداً للانضمام الينا مع القبائل العربية الـكبرى ، فرد طلبهم ، وفي دسمبر سنة ١٩١٤ رفض الحلفاء معاونة كردستان لهم في مقابل ضمانهم لها استقلالها الاداري ، وكان قد خيل اليهم أن الحرب ستضع أوزارها في بضعة أشهر ، وأنه لا يجديهم نفعاً عدولهم عن قسمة قرروها قبلاً فيما بينهم ، وهذه القسمة زادت ثمار منافعها لهم بحرمان ألمانيا اياها ، ونبـذت احتمال تسلح الاناضول لالهائهن ، وان يكن ذلك أمراً محتوماً ، للأسباب المار بيانها ولاسراع بريطانيا في الاستيلاء على الاستانة قبل الروس وهي لم تكن ميالة قط الى ارجاعها اليهم .

وكان موقف بريطانيا وفرنسا متماثلاً لما كان جمال باشا صاحب الامر والنهي في بلاد الشام في ابان الحرب ، وكان جل ما يصبو اليه أن يضمنوا له عرش البلاد العربية فتنهض العراق وبلاد الشام ولبنان والبلاد العربية وتغزو الجيوش العربية تركيا ، الا ان حل المسألة على هذا النمط كان من شأنه أن يعرقل اجراء خطط كثيرة مقررة .

أما ما عقد من الوثائق بين الحلفاء سنتي ١٩١٥ و١٩١٦ فلا ندير عليه رحى البحث الآن ، فقد كانوا يجهلون العرب الا ان انكسار البريطانيين في اكتيزيفون ومحاصرة كوت العمارة وتهدد الترك والالمان في فلسطين وبلاد فارس اضطرت الحلفاء الى تذكر العالم العربي ، والفضل في انكسار الترك الى فتنة الحجاز ومناصرة كبيرات قبائل العراق وبلاد الشام ، فاعترفوا في تلك الاثناء بمشاركة الحجازيين والسوريين لنا في القتال جنباً الى جنب .

ولما انتهت الحرب لم يفتكر الحلفاء وهم أصحاب الحول والطول الآن بالقسمة

المقررة في سان جان دي موريان

ان مؤتمر الصلح قد سجل ولا مراء بعض مقترحات مشجية ومبهجة معاً في ما يتعلق بالشرق ، ولم يتم الاتفاق بين أعضائه ، وكانت مطالب العالم العربي شديدة اللهجة ، ولما تبرم أعضاء المؤتمر ابتدعوا الانتداب A لامم الشرق الجديدة المعترف باستقلالها ما عدا الحجاز ، ولكن ما هو هذا الانتداب يا ترى ؟

« يجب أن ترشد مشورات ومساعدة المنتدب ادارة المنتدب عليهم ريثما يصيرون قادرين على تولي شؤونهم بأنفسهم

ويجب في بدء الامر أن ينظر بعين الاعتبار الى رغائب تلك الشعوب في اختيار المنتدب »

فليس من مهمة المنتدب والحالة هذه الا ارشاد تلك الشعوب « بمشوراته الادارية » اي بالمشورات دون سواها .

ونرى المسيو منسى فى كتابه « الانتداب A ووضعه موضع الاجراء في الشرق » يتتبع حرفياً نص العهد ثم يردف قائلا :

« هـذا هو دستور الشعوب الموضوعة تحت الانتداب المحدود والموقت الذي طلبته مختارة ، فهي مستقلة والمنتدب مستشارها الموقت .

هـذا هو مبدأ الانتداب على ما فهموه في معاهدة فرسايل وعلى ما هو مبين في عهد جمعية الامم »

وكيف فهمت هذه الجمعية دورها الواضح تحديده ؟

انها أنشئت للدفاع عن الضعيف والمحافظة على السلم ولكنها انقادت من جهة الانتدابات الى الدولتين الكبيرتين المنتدبتين » (منسى)

وهيأت هاتان الدولتان مشروع الانتداب فوافقت عليه الجمعية المنعقدة في جنيف من دون استشارة الشعوب التي يعنيها هذا الامر مع توالي الاحتجاجات الواردة من كل حدب وصوب .

وكانت بلاد الشام وبلاد العراق تبغيان البقاء حرتين ، أما فلسطين ولبنان فقد اختارتا الاستظلال بكنف جمعية الامم أو دولة صديقة .

ففي مثل هذه الحال وعند تلاوة الفصل الآتي تدرك أسباب الغليان العام عند جميع سكان الشرق الادنى وأسباب الحوادث الجارية من سنة وغيرها مما سيجري عن قريب .

ان بين السكان وأكثريتهم من المسلمين نخبة مهمة أحرزت معارف واسعة(١) وهي تفوق غيرها في الشعور بما يجرونه من التطال على استقلالها الذي طالما هيأته وانتظرت تحقيقه بالصبر الجميل .

٧

تطبيق الانتداب

فرنسا : — في المجلد الثاني من كتاب « الثورة العربية » ومباحثات مجلس

(١) ننشر برقية روتر مأخوذة عن مصدر رسمي بتاريخ شهر مارس سنة ١٩١٧ ومقالة التيمس الصادرة في ٣٠ مارس سنة ١٩١٧ :

روتر : — « في الولايات المتحدة بأميركا الشمالية وفي أميركا الجنوبية عرب مسيحيون ومسلمون اضطرتهم الفاقة الى هجر بلادهم . وقد أظهروا في جميع فروع الصناعة والمهن الحرة انهم مساوون للاوربيين من الجهتين العقلية والادبية .

على ان للميالين الى انشاء بلاد عربيـة مستقلة اسباباً مشروعة تمهد للأمل بأن هـذه التظاهرات المؤثرة عن بسالة العرب في الحجاز ومقدرتهم العقلية في الولايات المتحدة تضع الاساسين اللازمين لتأليف دولة في آسيا تحتوي جميع عناصر الترقي وتماثل كل ما أنتجته في غابر الحين بلاد العرب وبلاد الشـام والقطر العراقي » .

التيمس : — ان هذه الشعوب أدلت وتدلي بالبراهين عن حيوية عظيمة ، فالسوريون المسلمون والمسيحيون الذين انتجعوا الولايات المتحدة وخالطوا سكاناً لا يقل عـددهم عن ثمانين مليوناً ، وخاضوا بينهم كما يخوضون في البحر ما لبثوا أن طفوا على صفحه وهم دكاترة ومشترعون وتجار ، وعادوا الى بلادهم أغنياء بفضل كدهم .

وفي مصر يشغل عرب الولايات التركية أعلى المناصب في الحكومة . . . وإذا قابلنا ما هم عليه العرب الآن بما كانوا عليه قبلاً وجدنا أنهم سيصبحون دولة من أكبر دول العالم . فلأن يساعدوا على خلع نير الطورانية خير من معالجة استعمارهم » .

الشيوخ (١٧ دسمبر سنة ١٩٢٥) ومجلس النواب (٢٠ و ٢٢ دسمبر سنة ١٩٢٥) كشفت للناس الحقيقة عن كل ما جرى في الشرق من سنة ١٩١٩ حتى أواخر السنة المنقضية ، على أنه لا بد من سرد بعض تصريحات وحصر بعض جهات سياسية مع معالجتنا المسألة الدينية على حدة .

أما ما له علاقة بالعقوبات المنزلة ببعض السوريين واجبارهم على الاقامة في مكان يعين لهم ، وابعادهم وسجنهم فقد قال المسيو بانلفاي وزير الحرب بشأنه من على المنبر ما يأتي :

« اتخذت هذه القرارات في أحوال خارقة للعادة ، فلا يعتبر جبل الدروز أرضاً فرنسوية ولكن لا مندوحة عن اجتياز دور يدعى دور الانتقال قبل تصيير القانون الفرنسوي معمولاً به في تلك البلاد » .

لم يرد أحد ذلك التهجم على الكرامة والعهود المقطوعة ، فلقد « أخذنا » الانتداب وأكدنا لجمعية الامم (مارس سنة ١٩٢٦) ان غرضنا التقيد بمنطوق الانتداب ، فمن يتعمدون خداعه والحالة هذه ؟ فاذاشئنا وضع القانون الفرنسوي موضع الاجراء أجرينا في تلك البلاد ما نجريه في المستعمرات .

ويجب الاطلاع على تقرير المسيو روبير دي كاي المرفوع الى مفوض الانتدابات ، وتقرير مجلس جمعية الامم التي نالها الدهش مما رأته من التناقض بين الحقيقة وماصرحنا به .

« يأسف المفوض لتحققه بأن هذا التقرير (تقرير المسيو دي كاي) غير موافق لما كان يتوقعه ، فما فيه من النواقص غير مقتصر على بيان الاسباب المعجلة للحركات الثورية الحالية ولكنه متعلق باسباب الاضطراب الشديدة وهي غير مبينة بجلاء في التقارير المختصة ببيان الاعمال في السنين الماضية . . .

ففي اثناء انعقاد الجلسات كانت تتوالى على سكرتيرية المفوض عرائض واحتجاجات وبرقيات من قارتي اميركا وغيرها من البلدان الاجنبية . . .

ويعتبر المفوض أن في حالة النقد المبينة على مماثلة العملة السورية للعملة الفرنساوية غبناً مزدوجاً للبلاد الموضوعة تحت الانتداب (١) ، وفي واقع الحال نرى أن لصدى تقلب الفرنك الفرنسوي في سورية ولبنان ضرراً بالموقف

---

(١) يراد بهذه العبارة مصرف سوريا الذي جنى منه بعضهم فوائد جمة .

الاقتصادي في ذينك الاقليمين . ومن جهة أخرى أفلا يكون من وراء ربط الدولة المنتدبة لليرة السورية بعملة أجنبية في البلاد تعريض لعرقلة تصيب اتساع دائرة سياستها الخاصة ؟ وترمي هذه السياسة ولا مراء الى تهيئة البلاد الموضوعة تحت الانتداب لمزاولة استقلالها الوطني ، وهذا لا يكون بغير الاستقلال المالي والنقدي .

ويلفت المفوض الى هذه الملاحظات انظار الدولة المنتدبة بخصوص الحالة النقدية الواجب تثبيتها عند انقضاء مدة الاتفاق المعقود مع مصرف سورية . .

ولا ينتظر من المفوض أن يعلق الشروح على الاعمال العسكرية التي اقتضتها الثورة الدرزية وما تفرع عليها من الاضطراب ، فهو يقتصر على التذكير بأن هذه الاعمال لا تبرر الا حين لا يكون مناص عنها لاعادة الامن الى نصابه بحيث لا ينشأ عنها عذابات عقيمة ولا توجد ضغائن مشروعة .

ويمكن القول بعبارة أخرى انه كان من الموافق أن تجري في سورية مثل تلك الاعمال مع الرغبة ببقاء سلطة المنتدب غير ممسوسة وبعدم تعريض مستقبل سياستها للغضاضة .

ولا يرتاب المفوض في أن تقلبات سياسة الدولة المنتدبة في بعض مسائل من شأنها أن تثير مناظرات مسببة عن الخصومات الشديدة في تلك البلاد بين الاجناس والاحزاب والمذاهب الدينية ، وقد أوجدت جميع أنواع المطامع والمصالح الادبية والمادية في بلاد الانتداب حالة تقلب وقلق دائمة . . ولا يسع المفوض الا الافتكار بانه كان من الممكن تجنب هذه الاضطرابات في السياسة لو كان قد سبق البحث في تلك القضايا بتدقيق أو لو لم تخضع الحكومة المنتدبة نفسها على التوالي لدوافع ومرامي متناقضة .

وثمت وجه للتساؤل هل كانت الدولة المنتدبة في سورية تسير دائماً على ما تلهمها إياه مبادىء الانتداب ؟ ويبين جلياً ان المستشارين الفرنسويين كانوا يميلون ميلاً ظاهراً الى الحلول محل السلطة الوطنية . . . وعلى هذا المنوال رأى السوريون الانتداب يتحول تدريجاً الى شكل الحكومة المباشرة . . . »

فهل من لهجة أشد من هذه اللهجة ؟ ان الجرائد الكبرى لم تنشر طبعاً الا فقرتين من آخر تقرير مجلس جمعية الامم ، وقد ذكرت فيه بعض كلمات من آداب المجاملة ليسهل اغضاء العين على القذى ، وعلى هذه الصورة يطلع الناس

على حقيقة الاخبار ، فثمت مصالح عديدة ، فلا يحسن أن يخفوا أهمها ويتجنبوا قرارات يتقاضاها الرأي العام عند وقوفه على الحقيقة ، ولا تستوجب بلادنا أن تعامل بمثل هذه المعاملة .

وقد استنطق الجنرال سارايل ، وفي آخر الامر أقيل من منصبه ، أجل انه أتى بعض الهفوات بسبب حاشيته ومن جراء جهله لاحوال البلاد ظاهرها وباطنها ، الا أن هذه الهفوات كانت بمثابة قطرة الماء التي تجعل الكأس الدهاق يفيض ، فمن سنة ١٩٢٠ أي منذ وضعنا يدنا بطريقة غير جائزة على الشام وسورية فار فائر القوم في تلك البلاد وجعل استياؤهم يزداد يوماً فيوماً ، وكانت سياسة الجنرال ويغان الرشيدة قد أوجدت هدنة لان السوريين الواثقين باستقامته كانوا يأملون الانصاف، الا أن هذا الامر لم يكن منوطاً به ولا بخلفه .

ففي شهر ابريل سنة ١٩٢٥ ثم في شهر مايو من السنة عينها بعد وقوفنا على حقيقة الحالة شددنا في الالحاح على المسيو بريان وزير الخارجية طالبين مفاوضته في الشؤون الاقتصادية والسياسية وختمنا طلبنا بهذه الكلمات :

« ان هذا الامر لا يستهان به مع امكان وقوع حوادث هائلة في الشرق في فصل الخريف » .

فلم نظفر بجواب ،ولا يسع المسيو بريان أن يزعم انه من ذلك الحين لم ينبهه أحد الى ذلك ، فأمر الوقوف على مجرى تلك الاحوال مرجعه اليه ، وفضلا عن ذلك ان مواجهتنا له لم يكن من شأنها أن تغير شيئاً ، فقد كان ولا يزال لهم أسباب شتى في وزارة الخارجية وفي غيرها من الدوائر لاستمرار السير على منهاج خطأ سبق السير عليه ، ان الحزب الاستعماري المستاء ولا مراء من عدم استغلال المستعمرات العديدة قرر الاستيلاء على سورية والاستئثار بها . وقد أرسل اليها مأمورين عديدين من جميع الاصناف .

ولم تكتف وزارة الخارجية باقطاعتها تونس . فرأت أن مصلحتها تقتضي اصابة اقطاعة أخرى أوفر عائدة ليتسنى لها تجديد السير على سياسة المصلحة عينها ورأى العالم المالي امكان اجرائه بعض الاعمال المفيدة المعجلة أو المؤجلة .

وفي الفصل التالي ندير الكلام على العالم الديني . . .

فما هو شأن سكان الشرق التاعسين المسلمين والمسيحيين ، السوريين واللبنانيين في هذا الاختلاط والاختباط ؟ فهم غير موجودين في نظر أولئك

المستفيدين - خفى ان مصلحة فرنسا الحيوية ليس لها شأن في ذلك الامر .

ولم يراعوا عواطفهم ، وقد كان أولئك القوم يأبون البقاء تحت سيادة الترك ، وهم بأولى حجة يأبون الخضوع لنير الاوربيين ، فبانتهاجنا الخطة التي انتهجناها أثرنا التعصب من مربضه .

ولا بد من تفنيد ما فاه به المسيو بريان في مجلس النواب في ٢٠ دسمبر سنة ١٩٢٥ ودونكم شيئاً مما قاله .

« كان منذ الحرب (من سنة ١٩١٤) ثلاثة قواد ، فكانت ثمت حالة حرب . وكانوا قد تهجموا على فرنسا فاضطرت الى المدافعة . وكانت تدافع بذلك عن قضية المدنية التي لا مندوحة عنها . وكانت الحال تقتضي وجود مصارف لانشاء الطرق وسكك الحديد والترع وكل ما ينجم عنه عمل من أعمال التمدن » .

كل هذا غير صحيح . فان سوريا ولبنان انطرحا بين ذراعي فرنسا حليفتهما وصديقتهما ووعداها بجميع أنواع الفوائد . فعوملا معاملة البلدان المكتسحة . وذلك أقبح بألف مرة من معاملتنا للبلاد الرينية بلاد أعدائنا التي أحتللناها . ولكنهم كانوا يخافون في بلاد الرين احتجاج ألمانيا الشديد اللهجة . أما في سورية ولبنان فلم يكن فوق يدهم يد .

العمل التمديني : — وترك الترك تلك البلاد بوراً من قرون . فمن سنة ١٩١٩ أرسلت الجاليات اللبنانية والسورية القوية والغنية المنتشرة في العالم عدداً من الناس ومبالغ وافرة من المال لاجراء ما يلزم اجراؤه . ولما شاهدوا ما أتيناه من الاعمال انسحبوا جميعهم . ومما يتصدع له الفؤاد هو أن المهاجرة لم يشتد تيارها بقدر اشتداده بعد احتلالنا لتلك البلاد .

ولنضف الى ذلك قائلين اننا لم نفعل شيئاً من الجهة الاقتصادية ومنعنا أهل البلاد عن الاشتغال بالمشاريع الكبيرة . فنحن نريد أن نستغل كل شيء بذاتنا . وريثما ندرك ذلك نقول انه يوجد ما عدا الجيش ألوف من العمال يعيشون في الشرق .

ولقد كان في وسع المسيو دي جوفنل أن يصلح تلك الحالة المحفوفة بالخطر إذ كان لا يزال له متسع من الوقت . ولكنه سواء كان بسبب الجهل أو عدم الكفاءة أو افتقاره التام الى المبادىء الاولية اللازمة لموظف سام . أو بسبب طمع غير مدرك كنهه . أو باستسلامه الى عوامل مختلفة « مستترة » أفسد كل شيء .

لقد أضاع كل شيء ، فالمسيو فيكتور بيرار عضو مجلس الشيوخ الواقف على حقائق الامور ألمع الى ذلك مؤخراً . أجل ان جيوشنا الكثيرة العدد والمستوفية العدد تستطيع احتلال البلاد الا أن امتلاك النفوس والقلوب متعذر ، وهذا الامتلاك من دون سواه يستوجب الاعتبار .

سقطت السويداء في حوذتنا وهـذا كان منتظراً ، ولكن كانت خسارتنا جسيمة ، وقد ذكرت صحيفة من صحف الصباح ما يأتي عن قلة دراية وعدم روية :

« ان الاستيلاء على هذا الموقع الحربي المهم سيمكن جنودنا الاشداء من مباشرة « تطهير » جبل الدروز آخر معقل للصوص » .

اللصوص ! هـذه الكلمة يطلقونها على وطنيين سخطوا بحق مبالغ فيه ، وستكلفنا كثيراً وا أسفاه !

ان الثورة التي ابتدأت في جبل الدروز امتدت الى جميع البلاد ، ومع اتفاق انقره الجديد ـ وهذه هفوة نبهت المسيو دي جوفنل الى تجنبها ـ لا تزال العصابات التركية تجتاز الحدود ، أفلا يدخل على فكر المرء أن من وراء هـذا الاتفاق مصـالح منكرة ؟ فنحن نعالج شؤوناً تتعلق بتصحيح الحدود وشؤوناً أخرى مع حراجة موقفنا من الوراء ، وهذا ما فعلته حكومتنا سنة ١٩٢١ ، وقد عادت الآن الى تكرار هذا العمل الدال على خرق في الرأي .

وستكون النتائج أشد خطورة مما كانت عليه سـنة ١٩٢١ ، فاذا أضيف اتفاقنا الجديد مع تركيا الى تلك الفكرة الشاذة عن محجة الصواب بانشاء دول سورية متعددة مستقلة استقلالا ادارياً ـ « فرق تسد » ـ مع الزعم بأن هـذا العمل من باب الدهاء صرنا ننظر بعين الفكر الى قرب ارجاع الاسكندرونة وحلب الى حكومة انقره ، وقد نبه خاطر وزير الخارجية منذ شهر يناير سنة ١٩٢٦ الى هـذا الموقف المثير القلق في الافكار على أثر اعلان الاستقلال الاداري ، ومع ذلك أغضى الطرف عن اجراء هذا الامر .

أما اعادة النظر في الحـدود مما ينزع مرة أخرى قرى كبيرة من سورية فلجمعية الامم القول الفصل فيها ، على أن السوريين لم يكونوا يبتغون الا التفاهم واليكم نداءهم للشعب الفرنساوي في ١٣ مارس سنة ١٩٢٦ ولم يتكلم عنه أحد :

نداء الى الشعب الفرنسوي

اننا مع شدة رغبتنا في أن تكون بيننا وبين الشعب الفرنسوي صلات حسنة نرانا مضطرين الى القول بأن العلاقات الفرنسوية السورية في الوقت الحاضر تحيط بها مصاعب يعز تذليلها .

لقد اختبروا مناهج عديدة لتوحيد الادارة ، وبعد ست سنوات انتهت تلك الاعمال بمشروع انشاء الدول المتحدة السورية بحيث يكون لكل منها دستور وبرلمان ، وتكون فرنسا حكماً وضمينًا .

فمن الجهة الوطنية لا يمكن قبول هذا الشكل ، فانشاء الدول على هذا الوجه يعني البحث عما يفرق القوم ولا يضم شملهم ، ان تكثير الانظمة المنوي سنها والمجالس والمأمورين والمطامع السياسية يكون وخيم التبعة على رقي الامة ولا بد من أن ينشأ الحسد ونفور محبة الذات بين الحكومات المختلفة ، فالسكان الذين تعودوا فيما مضى مزاولة التجارة بحرية في جميع أنحاء السلطنة العثمانية (هذه التجارة تثبطها الآن حدود جديدة كثيرة صناعية ونقود مختلفة) يلفون ذواتهم في سورية نفسها خاضعين لقوانين ادارية مختلفة ، وليس هذا الخطر وهمياً .

ولما كان انشاء الدول المنوي انشاؤهن غير صادر عن ارادة الامة بل عن مشيئة الدولة المنتدبة فلمأموري هذه الدولة دون سواهم الامر والنهي ، وقد أصبح وجودهم ضرورياً وبالتالي تجاوزوا الحد في استعمال السلطة بشكل وخيم المغبة على البلاد ، وهؤلاء المأمورون يتذرعون بكل الذرائع التي تميزهم عن المجاورين لهم ، على أن الضرر الناجم عن ذلك يقع على الاهلين .

وآخراً نقول أنه يصعب التفاهم بين تلك الدول فيما يتعلق بمندوبي كل منهن لتأليف سلطة سورية مركزية على شكل نهائي ، وحينئذ تضطر فرنسا أن تكون دائماً حكماً وضميناً ولا تصير سورية أبداً دولة وطنية .

وقصارى الكلام أن تقسيم البلاد وانشاء حكومة معارضة لارادة الشعب ونبذ أماني السوريين في تحقيق حريتهم كان من نتيجتها تضحيات ونفقات باهظة من لدن فرنسا وتضحية جسيمة تقرب من الدمار من جانب سورية .

ولما كنا نرغب في تجنب حدوث مناظرات بين جهود البلادين وفي استعادة

العلاقات القديمة بين فرنسا وسورية على قاعدة جديدة فاننا نبتغي من فرنسا ، بناء على نداء سابق ، أن نستبدل بالانتداب معاهدة .

ونحن واثقون بأن هـذا القرار ، بعد البحث فيه ، يسهل العمل بموجبه فيجعل فرنسا توطد شهرتها القديمة كصديقة للحرية في الشرق حيث لا تدفعها أدنى مصلحة وراء الاستعمار وحيث يدعوها تاريخها لنشر نزاهتها .

السويداء في ١٣ مارس سنة ١٩٢٦ (التوقيع)

عبد الغفار الاطرش

وكان المسيو دي جوفنل ميالا الى المفاوضة ولكن على شرط القاء السوريين والدروز سـلاحهم ، فايس العرب سذجاً ، وهم لا ينسون أبداً ما حل بهم من الاغتصـابات المتكررة والحرائق والنهب ، وهم لم يبق لهم مطمع في الحياة الا للانتقام ، وسيواصلون المناوشات حتى اليوم الذي يتخلصون فيه تخلصاً نهائياً

ويجب أن تقرأ التصريحات الجازمة الصادرة عن المستر و . فيلدينغ جونس المراسـل الخاص لجريدة « اوستراليان صندي تيمس » (ابريل سنة ١٩٢٦) فقد أورد براهين معززة بصور شمسية وغير ذلك مما يثبت كذب جميع البلاغات المنشورة في فرنسا ، وقد جاءت هذه التصريحات مصداقاً للافادات الدقيقة التي انتهت الينا وأوصلناها الى البرلمان وبقيت طبعاً بغير نتيجة .

ولا يخفى ان اللبنانيين غير راضين من المفوض السامي الجديد ، وقد دهشو من رؤيتهم انشاء الدوائر الجديدة في حكومتهم ووصول مأمورين جدد ووضع مراقبة شديدة على رسائلهم .

ودونكم كتابا وجهوه الى رئيس الوزارة :

« يا حضرة الرئيس »

ان الجمعية اللبنانية في باريس الشاعرة بعاطفة صداقة متينة تربطها بفرنسا والمسيرة بعاطفة المصلحة الوطنية ترفع اليكم خلاصة ابحاثها الدقيقة عن حالة الحرب المحزنة التي أصيبت بسببها فرنسا وسورية بخسارة عقيمة .

لقد طال سفك الدم من كلا الجانبين وجر الى تنقص شأن فرنسا وجرّ الدمار الى تلك الديار ، فباراء تلك الحوادث لا تخفى عليك وعلى فرنسا ياحضرة الرئيس الغاية التي ترمي اليها .

وعليه فلدي تلك الحالة المؤلمة الخطيرة التي لا يمكن أن تعرف نهايتها في

الموقف الحالي ترى الجمعية اللبنانية في باريس ان واجباتها تقضي عليها بيسطها لديكم الذريعة الممكن التذرع بها لوضع حد لتلك المجزرة .

ولقد بالغت هذه الجمعية في البحث عن الموقف الحاضر فلم تجد لديها سوى امرين للخروج من المأزق الحرج الذي تورطوا فيه فاما أن تصر فرنسا على بقائها قابضة على زمام الانتداب واما أن تبتغي افلاته ، فاذا آثرت الامر الثاني اصبحت البلاد المرفوع فوقها لواء الانتداب ، بعد خروج فرنسا منها ، مطلقة الحرية لتنظيم شؤونها أو لتمزيق أوصالها ، ولكن تكون فرنسا والحالة هذه قد حقنت الدم الفرنسوي ، واذا اختارت الامر الاول أي اذا ظلت ميالة الى ابقاء الانتداب في حوزتها شق عليها اعادة السلم الى مجاريها بغير تحديها لخطة مبنية على العدالة والقوة معاً : فوجه العدالة أن تترك لتلك البلاد حرية اختيار التنظيم الوطني بالاستناد الى مساعدة مقرونة بالتيقظ ، ولا يكون لها من مطمع الا السير بها الى الهدف الاسمى الذي من اجله وضع الانتداب . ووجه القوة أن تمنح البلاد قوة جندية تفي في الوقف الحاضر بمقتضيات تسكين البلاد .

واذا كانت الحكومة الفرنسوية — على ما تتمناه هذه الجمعية — تروم أن تضع نصب عينها ما لفرنسا وجميع البلدان الشرقية الموضوعة تحت انتدابها من المصلحة المتبادلة دون أن تزيد على ما أهرق من الدم الفرنسوي والسوري واللبناني فلتتذكر ان قائداً هماماً قد تمكن في تلك البلاد من اصابة احترام القوم ومحبتهم له وتحبيب فرنسا اليهم وبسط لواء السكينة فوق تلك الربوع والسعي لتحسين أحوالها المادية وتوثيق عرى الموالاة بين بعضها والبعض الآخر ، فالجنرال ويغان استمال اليه تعلق جميع تلك البلدان الشرقية به ، ومن ثم فالجمعية اللبنانية في باريس ، وليس لها من غرض الا مصلحة فرنسا ومصلحة تلك الاقاليم التي كانت بالامس زاهرة واصبحت الآن متداعية الى الخراب ، تلتمس اختيار ذلك القائد ليتولى حظوظ تلك البلدان المار بيانها ويعيد اليها السلام ويتحفها بشكل حكومة ينطبق على رغائب الامة .

ولنا الامل يا حضرة الرئيس انك تحل اقتراحنا هذا محل الاعتبار ، فليس لنا من ورائه غاية الا اعادة الصلح والسلام .

ونرجو منك التكرم بقبول عواطف احترامنا واخلاصنا .

عن الجمعية اللبنانية في باريس

الرئيس

الدكتور عاد

***

وستأتي ساعة العدالة ، ولكن فرنسا واسؤناه ! وهي المحتاجة الى سند متين في الشرق ، تكون قد فقدت كل شيء . ومما يدعو الى الاسف أن نرى مفوضاً سامياً يعامل اللجنة السورية الفلسطينية في مصر بمثل ماعاملها به ، فهي تتألف من أشخاص ذوي معارف واسعة يقيمون من عهد بعيد في القطر المصري ومن وطنيين اماثل لجأوا الى تلك البلاد . ففي ٣٠ نوفمبر وصل المسيو دي جوفنل الى مصر واجتمع باولئك السادة ، وبعد بضع ساعات ارسلوا اليه مطالبهم .

وقد كان ميسوراً للرجل السياسي أن يفاوضهم وينتهي بالاتفاق معهم ، لكن المسيو دي جوفنل لم يجر على هذا المنهاج بل افسد كل شيء بتطييره بغير تروّ على جناح البرق الى أربعة أقطار العالم نبأ ينبعث منه شرر غيظه . فياويحهم ! انهم تجرأوا على عصيان اوامره وارادته السنية بغير تذمر . ان لويس الرابع عشر ذاته لم يكن ليجري أكثر من ذلك . وكان من نتيجة هذا العمل أن مئات من جنودنا فقدوا حياتهم من جراء تصرف ذلك السياسي الغريب الاطوار . ولانتمادى في الكلام عن بعض أعمال المنتقدين الموجهة الى شخصيات بعض رجال اللجنة ، فهذه أساليب سخيفة لا فائدة منها ، ومن الاسف أن الصحافة الفرنسوية رددت صداها موافقة عليها .

وقد كان الاولى بوزارة الخارجية أن تبين حقيقة الاحوال ، أولم يكن لديها البرقيات الخالية من الصواب المرسلة اليها من ممثلنا هناك ؟ أولم تشعر كم كانت أقوال وأفكار ذلك الرجل العالي المكانة هزلية ومضرة على ما جاء في أقوال بعض كبار الرجال الذين ابرزوا أحكامهم على تلك الحال وكتبوا اليّ بهذا الشأن ، فاي قيد وأي خوف يثبطان رجالنا السياسيين ؟

وفي آخر دقيقة (٢٥ مايو سنة ١٩٢٦) أبلغت الصحافة خبراً ذا بال وهو

أن مفوضنا السامي قبل جميع مقترحات الحكومة الوطنية (؟) في سورية ، وأعلن انشاء الجمهورية اللبنانية . فمن أين اتت ياترى حركة الالتفاف هذه الفجائية التي يهمنا أن نعرف أسرارها المضمرة ؟ أمن ملاحظات جمعية الامم ؟ أو — على ما يترجح — من خطورة الموقف ؟ وفي واقع الحال اذا كانت السويداء قد أخذت — وهذا أمر سهل بالنظر الى موقعها عند مدخل السهل — فان جبل الدروز الواسع لايزال منيع الجانب . فبعض القرى المجاورة التي خضعت يقيم فيها موقتاً قوم من البدو والدروز . وتشتد الثورة شيئاً فشيئاً في دمشق ، ويتزايد عدد العصابات التركية في الشمال ، وآخراً نقول أن في لبنان عينه شيئاً من الغليان . وكانت الحال تقتضي الانتهاء الى نتيجة ، ولكن هل كان ذلك حقيقيا ؟ أولم يكن ذلك تظاهرة « مناورة » ليسهل الاتفاق مع ايطاليا على التخلي لها عن سورية بعد ماترفع فوقها الوية الأمن في مقابل انتحال مئة الف ايطالي في تونس للجنسية الفرنسوية ؟ أولم يكن الأمر بعكس ذلك تمثيل رواية لستر اخفاق سياسة المسيو دي جوفنل عند عودته ؟ ان الجواب على ذلك يقتضي معرفة النصوص وأسماء أعضاء تلك الحكومات ، فالمرجح انهم خيالات رجال . وفضلا عن ذلك فقد انقلب الشك الى يقين لأنهم قد احتجوا لدى جمعية الأمم منكرين تمويه المسيو دي جوفنل ، فليس ثمت في الحقيقة حكومة وطنية .

أول سبتمبر سنة ١٩٢٦ : — نضيف هذه السطور الى طبعة شهر ايار الماضي اذ قد وقعت حوادث حققت مخاوفنا .

ان الحرية الممنوحة سطحية ليس الا فقد احتفظ المفوض السامي لنفسه بحق الموافقة على القرارات المتخذة أو المخالفة لها ، ولم يرجع الى بلادهم المأمورين الفرنسويين الكثيري العدد الممكن الاستغناء عنهم . أجل انه صدرت أوامر باجراء بعض الاصلاحات ومن جملتها الاصلاح في دوائر القضاء ولكنهم عالجوه بغير سابق اتفاق مع الحكومات التي يعنيها ذلك الاصلاح ، وكان فيما بعد أنهم اضطروا الى العدول عنه بناء على احتجاج المسلمين والموارنة .

ومما زاد في الطين بلة الكلام الذي فاه به المسيو دي جوفنل في ٢٢ أوغسطس في مدينة تول وهذه خلاصته :

« حين يعلم الناس أن سورية ولبنان قطران متممان لفرنسا وانه اذا لم نكن بعد قد نظمنا الشؤون المالية على ما يجب أن ننظمها فيهما فما ذلك الا لأنه

تعوزنا المواد الاولية لصناعة المنسوجات ، وحين يأتي اليوم الذي لاتكتفي فيه تلك الصناعة بالصوف والحرير اللذين تجدهما في سورية بل تهيء أراضي يصح أن نسميها أراضي قطن فرنسا تصبح ثروة بلادنا وثروة الامتين اللبنانية والسورية مشتركتين ويصبح الانتداب المعزز بالقوة المسلحة معززاً بقوة أعظم وهي قوة المصلحة المشتركة . »

وقال المسيو بونسو المفوض السامي الجديد يوم تنصيبه (٢٨ أوغسطس) مايأتي :

« أراني أمام حالة مقررة الا أن توطيد أركانها مفتقر الى الاناة . . . وعندي أنه لا مندحة لسورية عن المسير على طريق يؤدي الى انشاء محالف واسع . فهي مع كونها فرنسوية يجب أن تبقى على شكل دولي واسع في علاقاتها بغيرها من البلدان . . . »

ان المسيو بونسو وزير مفوض وهو من أصحاب المناصب في وزارة الخارجية ، وعليه فانه لا يجري شيئاً مخالفاً لما يتلقاه من تعليمات رؤسائه ، فكل شيء منوط بوزارة الخارجية ، ولكن يستفاد من كل ما قيل أن سورية ولبنان لايأملان الحصول الا على حرية مصغرة . وقد قال لنا احد زعماء الحزب الوطني : لا يدخل عليكم العجب من رؤيتكم سورية تنضم في آخر الامر الى تركيا ، فسنة ١٩١٤ عند انتشاب الحرب اصبنا من الاستانة اصلاحات واسعة كانت بمثابة فاتحة الاستقلال الاداري ، ولم يسيئوا قط كما أساءت فرنسا معاملتنا مع محبتنا لها . أما لبنان فقد كانت حريته أوسع في شكل حكومته الخاص في عهد الترك . وزد على ذلك تلك الغباوة التي أقامت واقعدت جميع الجوالي السورية واللبنانية المنتشرة فى جميع أنحاء العمورة فرفعت الصوت بالاحتجاج . فقد قضت معاهدة لوزان على الرعايا العثمانيين القدماء المقيمين في البلدان الاجنبية بأن يختاروا جنسيتهم بحيث يتم هذا الاختيار في القنصليات أو في مديريات الشحنة . وتشتمل الصورة التى وضعتها فرنسا على هذه الكلمات :

« لا يحصلون على الجنسية الا بعد موافقة الحكومة الفرنسوية »

فمن خصائص فرنسا والحالة هذه أن يصبح اللبناني أو السوري العريق في جنسيته — اذا لم يكن من المنظور اليهم بلاحظة الرضى — تركيا أو بغير وطن

وقد أجابت وزارة الخارجية في ١٣ أغسطس على الملاحظة المرفوعة اليها بهذا الشأن بما يأتي :

« جاء في المادة الرابعة والثلاثين من معاهدة لوزان « اذا رضيت الدولة الموكول اليها الانتداب » فالحكومة الفرنسوية تتقيد بنص هذه المادة . . .

وكأنه يصعب على الدولة المنتدبة أن تنبذ هذه المادة التي تتعلق في الدرجة الاولى بالامن في الدول الخاضعة للانتداب ، الا ان المفوض السامي قد صرح بأنهم يتساهلون تساهلاً واسعاً في وضع هذه المادة موضع الاجراء . »

وكيف كان الامر فهذه المادة موجودة ، وسيتضرر بعضهم بواسطتها بسبب آرائهم ، أما المادة الرابعة والثلاثون فلا بد لنا من القول عنها ان من حقوق دولتي لبنان وسورية أن تزاولا السلطة لو لم تكن الدولة المنتدبة قد تجاوزت حقوق المنتدب بحسب الانتداب A على ما هي محددة في عهد عصبة الامم .

بريطانيا — قلنا في كتابنا « الثورة العربية » ان الوزارة الخارجية البريطانية حاولت أن تتمحل لها عذراً عن النتائج الوخيمة المتسلسلة عن بدء احتلالها للعراق وانشائها فيه مملكة ، وهي في واقع الحال صاحبة السلطة فيها ، والملك فيصل مذعن لمشيئتها . واذا ما خطر لممثلي البلاد أن يقيموا النكير على تلك الحال اجبروا حالا على الصمت .

وعلى هذا النمط مدد الاجل لاستيلاء البريطانيين على العراق — خلافاً لكل حق — لعشرين سنة ، على ان الحرية التامة كان يجب أن ينالها سنة ١٩٢٧ ، فالموصل تستحق ذلك . . .

ولا يخفى ان الدور الذي تمثله بريطانيا هناك محفوف بالمخاطر فالعراقيون يعرفون كل المعرفة ما يبتغونه وقد كانت نخبة رجالهم وضباطهم كل حين روح الثورة في عهد الترك بحيث جعلوا الاستانة تنزل عند رغبتهم . وقد نشأت فيه حركة شديدة حتى عند ادنى طبقات الهيئة الاجتماعية يراد منها احراز التعليم العام وهم يعنون في كل مكان بمعالجة المسائل الداخلية والخارجية ، ويتدرج العراق شيئاً فشيئاً ليصير دولة ، وهو اذا باشر أعمال الري ليقر قرار قومه الرحل الكثيري العدد لم يلبث أن يصبح بعد قليل من الحين دولة لا يستهان بها .

وفي فلسطين تعمل بريطانيا بالاتفاق مع الصهيونيين ، وقد جاهر بمعاداتها المسلمون والمسيحيون متحدين ، وهم ينتظرون فرصة ملائمة للتملص من الدخلاء .

ونقرأ في هـذا الصدد الاخبار الآتية منشورة في « الفونيكس » مجلة النهضة الشرقية الصادرة في مصر بادارة عقيلة ف . دي سان بوان الواسعة الاطلاع :

« التأم أخيراً في بيت المقدس مؤتمر مسلمي فلسطين ، وقد اشترك فيه نحو من أربعة ألاف نفس ونيف وكانت جميع طبقات الامة ممثلة فيه ... واليكم خلاصة ما تقرر فيه :

ان الامة مضطرة الى بذل الجهود لنيل استقلالها في ادارة شؤنها وايجاد ممثلين لها بحسب القواعد الدستورية فيجب على الفلسطينيين اذن أن يتفقوا على العمل ، وينبغي لهم أيضا أن يقاوموا كل رقابة غير اسلامية توضع على المجلس الاسلامي ولجانه .

ويقرر المؤتمر السير بموجب التدابير السياسية المتخذة في المؤتمرات الوطنية العربية الفلسطينية والاحتجاج على أعمال الفرنسويين في بلاد الشام واستصراخ العالم الاسـلامي للعمل ابتغاء تخفيف الويلات المشتدة وطأتها في جميع أنحاء البلدان الاسلامية ، وقد انتخبت لجنة لاجراء ما اتخذه ذلك المؤتمر من التدابير وحمل البرق على جناحيه الوفاً من الرسائل الواردة من كل حدب وصوب لتأييد المؤتمر والموافقة على مقرراته .

وألغت حكومة فلسطين البريطانية انتخابات المجلس الاسلامي الاعلى .

وتجتاز فلسطين معضلة سياسية شديدة الخطر وذلك بما هنالك من الدسائس المستترة العاملة تحت ظواهر ساكنة .

ان الصهيونية — وكانت سنة ١٩١٤ في قبضـة ألمانيا فانتقلت الآن الى قبضة بريطانيا — في حد نفسها فكرة جميلة الا أن وضعها موضع الاجراء وخيم المغبة ، فقد شاءت ترسيخ قدمها ومزاولة الاستعمار في البلاد تحت حماية نصال الاجانب ، واذا تركوها تفعل ذلك أنشأت مملكة مظللة بكنف بريطانيا العظمى ، وحينئذ لا تكون مملكة لليهود ، بل تكون دولة اليهود الروس والبولونيين والليطوانيين .

فنحن نروم أن نفهم مديري تلك الحركة خطأهم وما ينتج عنه من المخاطر .

انكم باقامتكم في فلسطين تصبحون شعباً شرقياً ، وبالتالي يجمل بكم أن تتقربوا من أصحاب البلاد الحقيقيين ، أنتم أغنياء بنظامكم ومصارفكم وصناعكم المنتشرين في جميع أنحاء العالم ، فجودوا بما لديكم من المساعدة المعدنية والزراعية والصناعية على العالم العربي بجملته ، فيعلم أنكم لا تقصدون انشاء فئة معتزلة أو تتعمدون هضم حقوقه ، ثم استعملوا ما لكم من النفوذ لدى الحكومة البريطانية لكي تتمتع فلسطين بحرية واسعة ، وحذار أن تظهروا انكم ممتازون عن غيركم فاذا فعلتم ذلك منحكم العرب بالاستناد الى القرآن فوائد تجعلكم بمأمن من السلب ، ففي لندن نبذ مجلس الادارة باحتقار هذه المقترحات واستمر على السير نحو تملك البلاد ، فالانسان لا يغالب القدر .

ورفعت اللجنة العربيـة الفلسطينية الاجرائية في ٨ يونيو عريضـة الى مفوض الانتدابات تطلب بها منه الشخوص الى فلسطين وفحص ما قدمته تلك اللجنة من الشكاوي سنتي ١٩٢٤ و ١٩٢٥ وأحوال المعيشة الاقتصادية الحالية في فلسطين ، فيتحقق أن تلك الاحوال غير مؤاتية لمهاجرة اليهود اليها .

ويشكون في العريضة من مبالغـة الحكومة المنتدبة في الدفاع عن أعمال الصهيونيين في فلسطين ويطلبون انشاء حكومة مستقلة وطنية ديمقراطية يكون لليهود والعرب ممثلون فيها بالنسبة الى عددهم في البلاد .

وفي الشرق العربي يهدد ابن سعود الامير عبد الله أحد أنجال الملك حسين وقد ألغت بريطانيا في حكومة ذلك الاقليم مناصب الوزراء ما عـدا منصب رئيسهم حسن خالد باشا واستبدلت بهم مستشارين اختير معظمهم من البريطانيين

وتحققت على هـذا المنوال الوحدة في نظريات الدول المنتدبة ومناهجها بالاتفاق مع ايطاليا بسبب طرابلس الغرب لاجل المحافظة بالقوة على حقوقهن (؟)

وكتب الينا في المدة الاخيرة رجل من أقطاب السياسة ما يلي :

« ان تقرب سياستنا من سياسة ايطاليا وسياسة بريطانيا معاً لا يخلو من ايجاد ضمان جديد لنا » .

ولكن فاته أن ذلك الامر يجعل الامم الغربية مستهدفة لنبال المعاطب .

* * *

الاسلام وخصومه

من ١٣٠٠ سنة ونيف وأرض الاسلام في حوزة أمة محمد ، ولم تكن مملكة بيت المقدس المسيحية سوى حادث موقت ، أما الآن فان الاجانب الكاثوليك والبروتسطانت واليهود يحتلون قسماً مهماً من تلك الارض التي لا يطيق المسلمون أن يروها منهوكة الحرمة ، وقد نجم عن هذا الامر عند جميع مسلمي الارض البالغ عددهم نحو اربع مئة مليون غليان تحول الى عداء يزداد ظهوره يوماً فيوماً

ومن سنة ١٨٦٠ هب العالم العربي من سباته وقد كان زاهراً في العصور الخالية ونشر بين الشعوب الغربية التمدن والفنون والعلوم مما مكنهم من توسيع دوائر معارفهم وصيرورتهم على ما هم عليه الآن ، وكان الترك قد هبطوا به الى حضيض الخمول ، أولئك الترك الذين ظلوا على همجيتهم ولم يدركوا حقيقة مصلحتهم وهي إنماء ثروة تلك البلدان ، وقد بدت فيه نهضة شديدة وسريعة ، فوافق الترك على اعتبار اللغة العربية لغة رسمية بعد ما كانوا ينوون منع استعمالها ، وكان أن النجاح العجيب الذي أصابته الجوالي العربية في العالمين القديم والجديد ، ولا سيما في القطر المصري ، مكن نخبتها من اعتبار أنفسهم قادرين على تولي شؤونهم بذواتهم .

ولما كان العرب يؤلفون كتلة في السلطنة التركية ألفوا ذواتهم بعد الحرب والاستعباد يمد اليهم يديه مكافأة لهم على خدمهم ، واقتسم حلفاء الأمس أرضهم ولقائل أن يقول : ولماذا فعلوا بهم ذلك ؟ فالجواب هو لانهم شاؤوا مشاركة أوربا في العمل . ولقد قال الدكتور انساباطو في مقدمة كتابه ما يأتي :

« ان الهوادة والتعميم أعني المكارم العقلية والمحبة الفكرية ، وهما خلتان خطيرتان في الاسلام ، يمكنان شعباً من الشعوب ومدنية من المدنيات من بلوغ أسمى وأفضل شكل من الاشكال الاجتماعية ، أما ما ينقصه الآن من أسباب التحول فهو عضد أمة أوربية صادقة يكون كحلقة أو كصلة توصله الى التمتع بفوائد التمدن الاوربي من دون أن يخشى من وراء كلمات الترقي والاتقان والحرية والاخاء الخلابة العبودية السياسية والاقتصادية المخبأة تحتها » .

ان هذه الامة لم يوفق الاسلام الى وجودها ومع ذلك لم يروعه أن تكون له صلة دائمة بالغرب فلا يقلقه ذكر الحروب الصليبية ، تلك الحروب التي فاجأت

جميع المسلمين ، فقد كانوا يحترمون احتراماً شديداً مريم العذراء ويسوع المسيح وكانوا يعهدون في الديانة المسيحية ديانة المحبة ، ولشد ما كان تعجبهم عظيما حين أبصروا أعمال الفاتحين بدلا منها ، والآن يعيد التاريخ نفسه .

وقبل أن أعادي في الكلام في هذا الصدد أرجو من حضرات القراء أن يأذنوا لي بالتكلم عن نفسي لئلا أتهم بالتشيع لجهة من الجهات :

أنا كاثوليكي المذهب ومع ذلك أسلم بجميع الافكار والآراء وجميع الديانات بحيث لا تجر المضرة لوطني .

ولما كنت قد ركبت مركب السفر الى أصقاع كثيرة في المعمورة في أثناء سنين عديدة رأيت أنه لا يوجد دين يفوق غيره ، وأهم الديانات هي المسيحية والمحمدية والبوذية والبرهمية ، ويدين بكل منها مئات الملايين من البشر ، وتستطيع الواحدة منها أن تجاور الاخرى من دون أن يحدث بينهما تصادم ، ففي الصين والهند الصينية لم تقع المذابح الا وقت ما عمد المرسلون من جميع المذاهب الى الخروج من دائرة مهنتهم والظهور بمظهر التفوق لدى السلطة الشرعية ، ولدي البرهان على ذلك .

وليس لي من رغبة في اثارة غضب أي معتقد ديني كان ولا اكليروسنا العلماني فهو لا يدخل في بحثنا هذا ، لكنني أرى من واجبي في الاحوال الحاضرة أن أبحث في سياسة كل منهم وأنقب عن أسبابها وأبرز الحكم على محاذيرها :

ان للكرسي الرسولي مجرى سياسة لايتغير ، وهو يبتغي الوصول الى غايته مع كل ما يتصدى له من العراقيل فما ابتدأه في عهد الحروب الصليبية ينوي انجازه الآن ، وعليه فانه تذرع بكل ماالديه من ذرائع الاقناع والضغط . فبواسطة اكليروسه القانوني المرهوب الجانب في جميع البلدان — اذ ان الرهبنات المنتمي اليها مركزها في رومية ورؤساؤها من الاجانب — يطلع على جميع الأسرار ويستطيع اجراء الدسائس . فهو يتسلط على هذه الصورة على أشخاص ذوي مكانة عالية بالتهديد بافشاء أسرار دقيقة ومسائل تتعلق بالمصالح الشخصية وحرمان المساعدة السياسية أو منحها . الخ . وقد شاهد الناس من جملة تلك الأمور عملهم في مؤتمر مرسيليا الاستعماري في اثناء الحرب وفي بيروت من سنة ١٩١٩ . فاذا لم يدرك الانسان ما هو مضمر ثمت من الأمور

الحزنة لم يقدر على فهم موقف وزاراتنا المتعاقبة واعمال رجال برلماننا المعاكسة لمصالح فرنسا الظاهرة للعيان .

ولم يكن الاسلام في بدء الامر يخطر له قط أنهم يتعمدون حريته في صميمها ، لكنه بدأ يشعر بذلك منذ احتلالهم لاراضيه المقدسة وتدخلهم في شؤون الحج . فلم يبق الحج حراً . ولاسباب مختلفة حالوا دون مهمة « المطوفين » (هم أشخاص يطوفون في جميع البلدان لتشويق المسلمين الى الحج بتذليل المصاعب المعترضة في طريقهم) وأرهقوهم بجميع المعانت من جهة اجوزة السفر وغير ذلك من المعاملات سواء كان في سنغافورة أو كلكتا أو السويس أو بيروت وعند خروجهم من بلادهم أيضاً . فكأن عصبة تألفت لمناوأة الاسلام .

وقد بلغ التهديد مكة والمدينة ، فاستنكر الحزب العربي الوطني الحقيقي المتألف في نجد قلب العربية الوسطى ما كان أول ملك على الحجاز ينتحله لنفسه من الامتيازات وهب فكانت النتيجة صيرورة ابن السعود ملكاً على الحجاز .

ان الجامعة الاسلامية التي لم يكن لها من وجود قبل سنة ١٩١٩ لاباء العالم الاسلامي الانضمام الى الخليفة سلطان الاستانة للجهاد قد هبت الآن من رقادها ، وهي تشتد أزراً يوماً فيوماً أمام الخطر الحالي ، وان الجامعة العربية الشرقية التي كانت أيضاً مجهولة بالامس تمدها بعناصرها . وعليه فمن سنة ١٩١٩ حين لم يكن كما سبق القول جامعة اسلامية أو جامعة عربية كان بعض أشخاص من جميع الاحزاب ينفرون الناس من هاتين اللفظتين كأنهما من أشباه الطاعون والهواء الاصفر

وكانوا على هذا الشكل يتكلمون عن خطر وهمي ليسهل عليهم تسيير الآراء نحو الغاية التي يرمون اليها . وكانت هذه الشكوى موجهة الينا في ذلك العهد لكي يجعلونا نحذف من أحدى المجلات باب « السياسة الخارجية » فمن ياترى كانت له مصلحة لنشر مثل تلك الاراجيف التي كان من شأنها ايجاد مصاعب شتى للعرب وللاسلام ؟

فنحن نشهد الآن تمهيداً لحرب دينية هائلة ، فالاسلام المهجم عليه يستند الى كل عنصر يعثر عليه ، ومن المحقق انه لايدع شباته تفل . فالبوذية الشاعرة في نوبتها بخطر يهددها تمده بمساعدتها ، وهذا سبب من الاسباب

المهمة الناجمة عنها الحركة التي اهتزت من جرائها جوانب الصين والهند الصينية ، فآسيا وأفريقيا تسعيان متحدتين لادراك غاية مشتركة

وفي المباحثة التي جرت في البرلمان في ٢٠ دسمبر شعر الناس بأن بعض النواب كانوا يستشعرون الحقيقة ، الا أنهم لم تكن لديهم المستندات الكافية ولم يتناولوا المسألة من جميع أطرافها ، ولم يبصروا نتائج دهاء الفاتيكان وزعماء البروتسطانطية والصهيونية ، فكانوا يتكلمون عن الاكليريكية وحرية الفكر أي أنهم كانوا ينقرون على وتر طالما أولع الناس بالنقر عليه حتى تبرم منه الكثيرون ونجم عنه مضار كثيرة لفرنسا ، فكانوا تريدين من المسألة ، وكان الامر يتعلق بمناهضة الاسلام .

ولم يكن كتابنا البلغاء وصحافيونا الادباء يبصرون ما يرتكبونه من الخطأ وما يخالجهم من الاوهام حين ابتدأوا يكتبون من سنة ١٩٢٠ ما خلاصته :

« فلنحتل سورية ولنستول على الشام ، فاستيلاؤنا على هذه المدينة ، وهي من مدن الاسلام المقدسة يضمن نفوذنا التام على جميع المسلمين » .

وقد حدث خلاف ما توهموه ، فهل كان المتفوهون بمثل هذا الكلام صادقين ؟ أولم يكونوا بعكس ذلك عمالاً مختارين لخدمة قوات مستترة سنتكلم عنها فيما بعد . ولدوائر مالية واستعمارية وسياسية ؟

فلو كانوا أشد حنكة وأوسع معرفة مما هم عليه لأدركوا أنه يجب ألا يمسوا مكة والمدينة وبيت المقدس والشام وغيرها من بلدان الاسلام .

الا أن رومية من الجهة الواحدة والشيع البروتسطانطية كالبرسبيتيريين والمثوديست والانكليكان والصهيونيين من الجهة الاخرى كان بعضهم يريد الاستئثار ولو بعد عهد بعيد والبعض الآخر يبتغي مد لواء سيادته .

ومما يقضي بالعجب هو أن اللبنانيين والسوريين المسيحيين لبثوا بمعزل عن هذه الدسائس ، فاللبناني الماروني وطني يحب فرنسا ولكنه يمقت المهاج الذي تسير عليه . والسوري من أي مذهب ديني كان ينشد حريته . واي برهان على ذلك أعظم من تأليف اللجنة السورية الفلسطينية في مصر ، فان بعض زعمائها مسيحيون من الطائفة الأرثوذكسية . وفي سورية نفسها نرى الارثوذكس الروس وفي مقدمتهم اكليروسهم يناصبون سراً دسائس رومية ويمالئون الثوار العرب . فهم لايطيقون أن يكونوا منبوذين ، وهذا ما يتوقعونه لو سادت

الكثلكة ، فبناء عليه يكون مصدر الخطر من الخارج .

ان رومية لا يروى لمطامعها غليل الا أنها أساءت فهم مصلحتها ، فالاسلام على ما سبق القول لم يكن قط مخاصماً لها ، وقد اخطأت بتصديها لاجراء خطة كان من شأنها تمكين فرنسا من اعادة تأليف السلطنة العربية واتخاذها اياها حليفة قوية . وانما هو أمر حقيقي أن رومية لم تكن راغبة قط في مجاملة بلادنا فهي غير فرنسوية .

وقد نشبت رومية في الاحبولة التي نصبتها ، فكانت في ماضي الحين تنكر رؤية الاراضي المقدسة تحت سلطة المسلمين الذين كانوا يعدلون بين جميع المذاهب الدينية ، ولم يكن يروقها أن تبصر فلسطين الا على الحياد على الاقل ولكن جرى ما يخالف ذلك فان الانكليكان والمتوديست والصهيونيين استندوا الى مناصرة بريطانيا العظمى والولايات المتحدة واستولوا عليها ، وهذا شر التدنيس في نظرها .

فالنزاع قائم الآن بين المتزاحمين ولا يبعد أن يشتبكوا في حرب ، وسنرى عن قريب اختلاط المصالح والدسائس الدينيـة وغيرها والمطامع مما يجعل حل هذه المسألة الهائلة حلا سلمياً أعقد من ذنب الضب ، وسيشعر الناس بعد فوات الفرصة بالهفوات المرتكبة وغباوة أو حماقة القابضين على سكان الاحكام عند جميع تلك الشعوب .

فلم يتم في يوم واحد كل ما أجروه لحصر الاسـلام في دائرة ضيقة ولاستعباده فيما بعـد ، وقد أطالوا فيه الروية ودبروه بحنكة وأيدوه بشدة ، فاحتل الغرب البلاد الاسلامية احتلالا تدريجياً ، وكانت الحروب المتوالية التي أشهرت على تركيا المتولي الخليفة الحكم فيها تعتبر لاسباب شتى حروباً دينية ، وكانوا على هـذا المنوال يؤخرون حدود بلاد الاسلام ، ولم تبق تلك البلاد المتجزئة الى طوارىء وأقاليم محمية مرهوبة الجانب ، فسهل استعبادها ، وكانت أيدي الخلاف تعبث بسكانها من جراء الدسائس الكثيرة والمصالح الشخصية ، وبعد الحرب أجهزوا على الشرق .

ولم يقنعوا بذلك . فقد كانت تمت وحدة اسلامية ، الا أن الحال اقتضت القضاء عليها ، ومعلوم أن بعض الاشخاص الملحوظي المكانة كالسيد قدور ابن غبريط المراكشي المغمور منا برفعـة المقام والالقاب والنياشين تجرأ على

الجاهرة بأنهم يستطيعون ، من دون أن تنبض لهم فريصة ، تعيين عدد من الخلفاء بقدر ما يريدون ، فصدقه بعض رجال السياسة أو تظاهروا بتصديقه لملاءمة ذلك الرأي لمقاصدهم ، ووافقوا بسهولة على هذه البدعة لان التدابير المقترحة كان يراد من ورائها تجنب خطر الجامعة الاسلامية وإيجاد بدع ومساعدة المرسلين في أعمالهم .

وقد تراءى لهم أن تشييد جامع في باريس يدل على مهارة سامية من لدننا لاستمالة عواطف المستظلين بكنف حمايتنا أي الرعايا المسلمين الا أن انتداب سلطان مراكش لتدشينه أفسد الغاية المنتظرة منه لانه معتبر سلطاناً محروماً الحرية .

وتصرفت ايطاليا بمثل هذه اللباقة في ليبيا وبرقه ، ففي مارس سنه ١٩٢٤ قررت أن تقام الخطبة في الجوامع باسم الملك فكتور عمانويل الثالث .

وقد استاء علماء الازهر من ذلك فأجابهم قاضي بنغازي أن علماء برقة فعلوا ما فعلوه اظهاراً لعرفانهم الجميل نحو ايطاليا لاحترامها للدين الاسلامي « مما لا يرى لعملها مثيل عند جميع دول العالم طراً » .

ما أشد هذا الدهاء فهو من باب « أعانقك لكي أحكم خنقك »

ان الاسلام قد قبل النزال ، فقد قالوا وكرروا القول منذ خلع خليفة الاستانة ان الاسلام أصبح في فوضى تامة ، وانه متعذر عليه لم شعثه . فلدى هذا الخطر المداهم يفعل كل انسان واجبه ، واذا لم يكن من نتيجة لمؤتمر الخلافة المنعقد في سنة ١٩٢٦ فما ذلك الا لاختيار مركزه في القاهرة حيث بدت الدسائس الاجنبية للعيان بصورة جلية .

أما المؤتمر الاسلامي المنعقد في مكة في ١٢ يونيو فقد قرر بعكس ذلك أموراً خطيرة . وقد وافق الجميع على نظرية الوهابيين المقترحة الرجوع الى العمل بموجب المبادىء والآداب الاسلامية الصحيحة ، وقرروا فيه أيضاً أمرين مهمين يتعلقان بالعالم طراً .

١ — في جميع البلدان المأهولة بالمسلمين تخصص الاوقاف بالحجاز دون سواه أي للحج ومدارسه وطرقه الخ وفوض الى حكومة الحجاز أن تتقاضى ريع تلك الاوقاف جميع الحكومات الواضعة يدها عليها

٢ — بنيت السكة الحديدية الحجازية بأموال تبرع بها المسلمون المنتشرون في جميع اقطار المسكونة . وعليه فمن خصائص هؤلاء ولا سيما سكان الحجاز

الملقاة اليها مقاليد طلب إعادة تلك السكة .

ولا يذهب عن أولي الالباب ان هذه المطالب العادلة ستقيم العالم الاسلامي وتقعده ، وهي دليل صريح على ان الاسلام لا يطيق فيما بعد أن يغضي الطرف على الاعتداء على حقوقه كما كان يفعل في غابر الحين ، ولا يخفى ما يتسلسل عن ذلك من النتائج الجسيمة .

ومما لا بد من التنبيه اليه هو ان تركيا انفذت الى ذلك المؤتمر رجلين من ساستها الدهاة ، وهي مع كونها علمانية ومع كونها ميالة الى انتحال البوذية لم تنس حكومتها في انقره ان الترك لا يزالون مسلمين وانه لا ينبغي أن يهملوا في الشؤون السياسية شيئاً من الاشياء التي قد ينتفع بها .

« ٩ »

وقوف الدول بعضها بازاء البعض الآخر

تحدث في بر الاناضول امور محفوفة بالغموض ونخشى أن يتلبس علينا الوقوف على حقائقها بغير عناء — نحو الصدق والحكمة والمرؤة — وكأننا باوربا عاجزة عنها ، وقد هبت على جميع الشعوب الكبيرة ريح حماقة تنذر بعاصفة تفوق العاصفة التي هبت سنة ١٩١٤ . فجمعية الامم العوبة بين أيدي الاقوياء ، وهي غير قادرة على إعادة مياه السكينة الى مجاريها ، وهي نفسها ستدخل في خبر كان . أو لم تصب بضربة شديدة بعد اجتماعها الاخير ؟

وكيفما كانت العهود المقطوعة لدى الناس فان نواميس قهارة تتسلط في كل عصر على البشرية جمعاء ، وقد دفعت غريزة المحافظة على البقاء الشعوب الضعيفة الى التألب للدفاع عن كيانها . على ان ضرورة تدارك الحاجات الجوهرية عند الشعوب — الحاجات التجارية والصناعية والزراعية — تحملها على ايجاد مصارف لا مندوحة لها عنها ، أي أن تكون صاحبة البلدان التي تستهلك تلك الحاجات أو تنتجها وتتلف حاجات جيرانها .

ان تكاثر عدد الناس في البلاد يدعو الى التبسط في الاستعمار والفتوح ،

وان مطامع اصحاب الامر والنهي عند بعض الشعوب تحدث خللا في الموازنة، فالبغض الناجم عن اختلاف الاجناس والأديان وتصور بعض الشعوب بتفوقها على غيرها من جهة جنسها يجر الى الويلات . وهم يموهون عبثاً هـذه المبادىء العنيفة بكل أساليب الفصاحة من دون أن يغيروا شيئاً من مزيتها الحقيقية ، فسلطة تنازع البقاء لايقوى شيء من الاشياء على مقاومتها في جميع العصور ، وحين لاتغتذي العقول بالاوهام فيما يتعلق بالمحركات الحقيقية المحركة العالم ، وحين يعمدون الى مخادعة جيرانهم يمكنهم ان يبحثوا عن الدواء الشافي من الداء . ولا شيء الا بيان الحقيقة يقدر على اجراء ذلك الامر .

وعليه فلنعمل الروية في حالة كل شعب ولننقب عن أسباب موقفه في الحاضر والمستقبل :

لقـد حاولت بريطانيا الاستئثار بالشرق ولم ترض باقتسامه مع فرنسا الا مكرهة بعهود سابقة ، واذ لم يتيسر لها أن تجعلنا نشتبك بحرب مع الترك سنة ١٩٢١ بحثت عن مؤازرين لها غيرنا فوجدت اليونان ، ولما انكسر هؤلاء لاذت وزارة الخارجية البريطانية بعقوة الصبر بضعة اشهر . الا ان مسألة الموصل تعقدت ففكرت في ايجاد حامل سلاح لها فألفت ايطاليا في طريقها ، فاحسنت معاملتها في مسألة الديون وعززتها بتركها لها واحة جغبوب — بضغطها على مصر — ولذلك هبت لتمثيل دور يعود عليها بالجدوى في الخلاف المنتظر وقوعه مع تركيا . بيد ان التظاهرات الايطالية الاخيرة بردت حماس بريطانيا فكان ان لندرة التي لا تهمها مسألة الامتيازات الموقتة عرضت على مصطفى كمال ما يأتي :

١ — تصحيح تخوم الموصل على ما تمكن منه الحدود الطبيعية والحربية .

٢ — منح تركيا حصة في المئة من أسهم الشركة التي ستنشأ خصيصاً لاستثمار بترول الموصل .

٣ — عقد قرض لحـكومة انقرة قدره ٢٠ مليون ليرة انكليزية .

٤ — ابرام اتفاق بين تركيا وبريطانيا العظمى على بقائهما على الحياد (بصفة كون هذه الاخيرة دولة منتدبة للعراق) بحيث يكون مماثلا للاتفاق المبرم بين الفرنسويين والترك في ما يتعلق بسورية .

وقد أعيد النظر في هذا المشروع من ذلك الحين ونقح ، وعقدت في ٢٥ يونيو وثيقة مع تركيا في هذا الشأن تتنازل تركيا بموجبها عن ولاية الموصل ولكنها تصيب في مقابل ذلك حدوداً ثابتة مع منطقة خالية من الجنود يبلغ عرضها ٧٥ كيلو متراً ، وتعقد مع العراق اتفاقاً على تجنب الاعتداء مدة عشر سنوات ، وتصيب أيضاً في خلال خمس وعشرين سنة عشر المبلغ الذي يعود الى حكومة العراق من بترول الموصل والعراق ، وما عدا ذلك فان بريطانيا العظمى تمنحها اعتمادات مالية في مقابل بعض الامتيازات الاقتصادية .

وعلى هذا المنوال تستطيع بريطانيا أن تواجه جميع المخاطر ، فهي بمنجاة منها ... موقتاً من بعض الجهات الدقيقة والبعيدة وغير المضمونة ، وهي لا تخشى أن تصبح بين نارين ، فتلك سياسة « المستعجل » ، ولديها فسحة من الوقت لانعام النظر في القضايا العربية والفلسطينية وتغيير مناهجها وتوطيد أركان الصهيونية وحماية انجيلييها ومراقبة ايطاليا .

وفي ايطاليا سكان كثيرو العدد ، وليس لها طوارىء ترسل اليها فريقاً من شعبها وتجلب منها ما يلزمها من المواد الاولية ، فهي تبتغي التبسط كيف كان الامر ، ولا يهمها الجار الذي تجور عليه ، وقد استمدت سياستها من سياسة ماكيافل (سياسة الخداع والمواربة) فبعد ما برهنت لجمعية الامم انها أمة عظيمة واستشهدت على ذلك بحادثة كورفو أبرزت صفحها لالمانيا وظلت تجامل الروس مع تأجيلها الموافقة على الوثيقة المتعلقة بضم بساربيا الى رومانيا وبشت في وجه بريطانيا في أثناء تسوية الديون ، وجعلت تتحفز عند حدود الصومالي قبل أن تطمح لاصابة حصة كبرى في الحبشة بالاتفاق مع البريطانيين . والحبشة بلاد حرة ، وهي المملكة المسيحية الوحيدة في أفريقيا ، ولكن لا بأس من ذلك ، فالارض لمن يتفوقون على غيرهم في القوة ، وما ذلك الا من نوع المقبلات لمأدبة شائقة ، وقد صرحت بذلك صحيفة (الايمبرا) في ٢٠ مارس سنة ١٩٢٦ قائلة :

« يعوزنا الهواء للتنشق والارض للتمدد والبترول والفحم للدفء لنا ولا لآلاتنا والآفاق والبحار لاظهار البسالة ونظم الشعر ، فمن جنسنا تنبثق اليوم قوة كبيرة

طبيعية لا يجارى فى مالها من الحق بالانتشار فى العالم كما للتيارات الحق بدفع مياهها الى البحر » .

واليكم ما صرح به مسوليني لمراسل صحيفة « الاكلير » :

« يجب الا يكون فواصل بين فرنسا وايطاليا ، ويجب ألا يثيرنا شيء عليكم فيسهل علينا التفاهم ، وهل يصعب عليكم مثلا أن تبدوا لنا صداقتكم بتغيير الاتفاق التونسي الذي نجدده بيننا كل ثلاثة أشهر باتفاق سنوي أو باتفاق تكون مدته أطول ؟ فثق بأن المفاوضات الجدية في هذا الصدد تلقى مني ميلاً الى ارضائكم فلديكم نقود كثيرة للمقايضة ، ومن تونس الى الشرق الادنى لدينا موضوعات كثيرة للتحدث ، فهل تهمكم سورية الى درجة تحول دون اعترافكم لنا بالافضلية التجارية فيسواحل بر الاناضول حتى ثغور البحر الاسود البعيدة ؟ وحيث يمكننا التحدث فلنتجاذب أطراف الحديث كأصدقاء » .

ولا يقف الامر عند هذا الحد ، فقد تحدى مسوليني الطريقة الانكليزية وجعل من وكده المساعدات اللازمة ، واستخدم ماله من النفوذ على الجنرال بانغالوس الحاكم بأمره في بلاد الاغارقة وعقد معه وثيقة ضد تركيا ، ومن جملة ما جاء فيها انه حين تتوغل الجيوش الايطالية في كيليكيا يزحف اليونان الى الاستانة بطريق تراقية .

بقي السبب المكتوم لاجراء شقيقتنا اللاتينية الحركات التمهيدية لبلوغ تلك الغاية ، وهذا ما كتبه في هذا الشأن أحد رصفائنا حيث قال :

« تتجه الآن القوى الروحية في البلاد نحو قوة الفاشستية ، وقد استمال الحاكم بأمره الكنيسة اليه بما كان من موقفه تجاه الماسونية ـ المنحلة رسمياً ـ وبدهائه الذي يفاخر به لدى جنوده من حين الى آخر بحسنات دين آبائهم ، فاليسوعيون الذين استرجعوا قصورهم في رومية ، والفرنسيسيون الذين أعيد اليهم دير اسيز ، وغيرهم أصبحوا حلفاء مرهوبي الجانب لصاحب السلطان المطلق

ولا يخفى أن الامر مع الفاتيكان لم يكن هيناً ، فالبابا لم يرض بتسوية المسألة الرومانية تسوية بسيطة مخافة أن يستهدف لخسارة جسيمة بتنازله عن منفاه الخلاب فيصبح أسقفاً بسيطاً لرومية ، أما الكردينال غسباري وزير الدولة البابوية فانه لا يسهل عليه الصفح عن تهجم الفاشست عليه . الا أن مجموع

القوات الكاثوليكية على التقريب مشايعة لشكل حكومة مسوليني » .

وما خلا ذلك ففي حوادث الخلاف الطارئة بين الكويرينال والفاتيكان وفي كل زمان كان الفاتيكان يؤثر دائماً شؤون ايطاليا على فرنسا وغيرها من البلدان .

وقال الجنرال يونغ في كتابه « فرنسا ورومية » قد ينتحل البابا افكار قسطنطين وشارلمان ونابوليون ويضع تحت تصرف حليفه الايطالياني وسائط العمل التي خولته اياها العصمة والجمعيات والرهبنات الخ . . . فماذا يقول حينئذ ياترى المتطرفون الفرنسويون (الموالون لرومية) البسطاء حين يرونهم يطبقون في ايطاليا طريقة الاستبدال التي لجأ اليها لضررنا رجال الدين الرومانيون في الشرق . »

فكأن هذه السطور المخطوطة سنة ١٨٧٤ قد خطت امس .

ان البابوية محتاجة اليوم الى حسام يسند سياستها ومراميها وما تزعمه من حقوقها ولابد لها من جنود لمناهضة البروتسطانطية والصهيونية واستعباد العالم الاسلامي ، وقد أصبح مسوليني عاملاً من عمال رومية . ولكن هل يثابر على هذا النهج حتى النهاية ؟ هذه مسألة أخرى ، وانه ليتعذر علينا أن نخترق افكار الحاكم بأمره الايطالياني . ومن المحتمل أن يتحدى مسوليني خطة أخرى مع الاسلام ويسعى لان يكون محامياً عنه ، فهو يستخدم جميع الناس ولا يعمل الا بحسب ما تلهمه افكاره ، الا أن سياسته في برقة نفرت منه المسلمين .

وثابت اليونان الى رشدها بعد انكسارها في الاناضول ، فهي وان تكن قد انقادت الى بريطانيا في تسيير تلك البعثة الوبيلة المغبة عليها عالنت فرنسا بالبغضاء لعدم ارسالها الجنود لنجدتها ولعقدها معاهدة انقره سنة ١٩٢١ ، ولا يخفى أن بريطانيا دفعتها حنكتها الى دفعها الى المحتمين بها والى غيرهم الغرامة التي كان مقضياً على تركيا ان تدفعها لهم . وكان من نتيجة ذلك أن بريطانيا والمانيا وأميركا الشمالية اصبحن من أهم زبائن اليونان يقدمن لها حاجاتها ، ولايخلو ذلك العمل من المضرة لنا .

وبعد ماشددت بريطانيا العظمى في الالحاح في بدء الأمر على الحكومة

اليونانية لأن تتهيأ للتدخل في شؤون الشرق انقادت فيما بعد الى رغائب ايطاليا التي فتحت لها اعتماداً مهماً وقدمت لها ما تحتاجه من السلاح . وسرحت بلا تردد البعثة العسكرية الفرنسوية والبعثة البحرية البريطانية رجاء أن تصبح طليقة في العمل . ولم يكن يسعها البقاء على ما كانت عليه فان ملايين من أبنائها المقيمين في تركيا وبينهم جمهور غفير من الزراعين والتجار والصناع والصيارف ورجال العلم والاطباء والاساتذة والفنانين ، نزلوا في مقدونية واتيكا والمورة بعد ما نجوا من مذابح الاناضول ، وما عتموا أن عادوا الى مزاولة أعمالهم ، فهم الآن يجلبون على وطنهم فائدة قيمة من الجهة الاقتصادية ويضمنون له إقبالاً جديداً ويسهلون له السبيل ليعود الى ما كان عليه في العصور القديمة بلاداً واسعة الثروة عظيمة القوة .

ولا ينسى أبداً هؤلاء اليونان البلاد التي طردوا منها طرداً شنيعاً ، فلا شيء يسليهم عن مقتل والديهم ونسائهم وأولادهم وضياع أموالهم ، وان ما أصابوه من النجاح في مشاريعهم الجديدة في البلاد التي أوسعت لهم مجالا رحباً ، وهي موطن جدود السواد الاعظم منهم ، لا يقوى على الحؤول دون الحنين الى العودة الى الاناضول ، وهي عاطفة انسانية طبيعية فيهم .

وهم يلحون على حكومتهم لتستند في القريب العاجل الى دولة من الدول وتسير جيوشها الى الاستانة وأزمير بغية ترميم صرح المملكة الاغريقية الشرقية أو الامبراطورية البيزنطية .

فاذا صح هذا الحلم ولم تعترض الموانع مطامع كل منهم فلا نلبث أن نشاهد امبراطورية رومانية كبرى أي امبراطورية بيزنطة ومملكة اسرائيل وغيرها من الدول . ومعلوم أن اليونان المتمذهبة بمذهب الروم الارثوذكس تسر طبعاً بضربها الاسلام ضربة موجعة والعمل على استذلاله .

ألمانيا — : لقد أسهبنا في الكلام عنها في صدر هذه الرسالة ، فليس لها سوى فكرة واحدة وهي استئناف ما كانت قد باشرته من الاعمال وحالت الحوادث دون انجازه ، فهي ترصد جميع الحركات والآراء وتسعى للاستفادة من أغلاط خصومها ، وتشعر بأنها أصبحت قوية من الجهة العسكرية وذلك بفضل « فون سيك » ، وان هي لم تعجل في اضرام سعير الحرب فما ذلك الا

لانها تخشى أن يرأب خصومها بالامس الخرق الناشيء بينهم ، وقد استأنفت ألمانيا صداقتها لتركيا وصارت تجهزها بالسلاح ، وعقدت مع روسيا معاهدة كتتمة لمعاهدة « رابالو » وذلك يمكنها من البقاء في موقف المتفرج تجاه جميع الحوادث ، ولها الخيار في التدخل فيها في الحين الملائم كحكم مطلق الارادة ، ثم أنها تعود أيضاً الى حماية الاسلام كما هي محامية البوذية وغير ذلك بحيث تعود الى التسلط على العالم ، فحسبها الاهتمام بنفسها وكفى ، وهي محتاجة الى طوارىء وشعوب وأراضي واسعة .

روسيا — : ان روسيا في قبضة موالٍ ثوريين لم يجروا اليها السعادة ، وقد انبثقت منها جمعية جعلت من وكدها احداث الفتن في جميع البلدان وتحريج المسائل فيها وتأجيج لظى البغضاء ، ومما مهد لها السبيل الى ذلك سياسة التوسع في الاستعمار التي جرى عليها الغرب وحرك سا كنات العواطف في جميع جهات الكرة الارضية .

ولا يذهب عن أحد ان زعماء تلك الجمعية تخذوا السياسة القيصرية منهاجا يسيرون عليه من جميع وجوهه ، فهم الآن يتركون موقتاً الاستانة لتركيا لانهم لا يلقون لهم ندحة عن مداراة مصطفى كمال ومجاملة الشعوب الاسلامية ، ولكنهم لا يطيقون أبداً أن تحتل اليونان هذه المدينة والمضايق .

وقد أصبحت روسيا ناعمة البال بعد قطعها عهود الحياد مع الدول البلطيكية وبعد عقدها الاتفاق الاخير مع المانيا ، وكل يوم يزداد تجهزها وذلك بفضل المهندسين والاختصاصيين الالمان الذين يشتغلون من سنة ١٩٢١ في معامل السلاح ومسالحها ، وقد اصبح لها جيش منيع الجانب ، وهي مطلعة على كل شيء في قارتي آسيا وأوربا ومستعدة لكل طارىء .

واضطرت الى الافلاس بسبب تدني سعر نقدها ، ومع ذلك لم تستسلم الى تسلط الدول عليها من الوجهة المالية ، وهي مصممة على اضرام نار حرب عامة ليتسنى لها الخروج من المأزق الناشبة فيه أو لتجر العالم وراءها الى الوهدة المتدهورة فيها .

وتتشبث في الخلاف الديني الحالي بان تكون لها كلمة مسموعة ، وهي بصفة كونها دولة اسلامية وارثوذكسية لا ترضى بان تصبح الحالة الحاضرة نهائية

في ارض الاسلام وفي بيت المقدس، وبالتالي سيكون تدخلها امراً مقرراً

تركيا : — ان مصطفى كمال بعد ما كان موقفه حرجا بين بريطانيا العظمى واليونان وايطاليا تملص من هم كبير بابرامه وثيقة مع لندرة . ولم يبق عليه اذن الا أن يتهيأ لرد هجات الغرب، وقد اتخذ للامر عدته واصدر أمره بتعبئة الجيوش .

أما من جهة سورية فاذا تحركت فرنسا ولم ترع حرمة عهودها (وهو نقض عهوده بارسال عصابات مسلحة اجتازت الحدود السورية) برزت بعض فصائل من جيشه وحينئذ تبادر جميع البلاد الى الالتفاف تحت رايته .

وهو سياسي محنك ، ففي شهر اكتوبر الماضي وقع مع بلغاريا وثيقة ولائية أضيف اليها بروتوكول ، ويعتبر هذا الامر كتهديد لليونان . وقد أجرى الامر عينه مع العجم .

وبينه وبين المجر صلة ولاء ، وهو موقن ان يوغوسلافيا لا تتحرك وذلك ليس فقط لان فيها قسما مهما من المسلمين ولكن لانها تبتهج برؤيتها مطامع ايطاليا الكبيرة تتداعى وتنخفض كبرياؤها وكبرياء اليونان جارتها الكثيرة القلاقل .

الولايات المتحدة : — انها مع زعمها بانفصالها عن مسائل أوربا والاناضول تراقب مجرى الحوادث وتبتغي القاء دلوها بين الدلاء . وهي تهتم بذلك من الجهتين السياسية والاقتصادية . ففي بلادها نحو من ٢٥٠ الف عربي وهم يؤلفون قوة انتخابية لا يستهان بها ، وتجعلها علاقاتها التجارية باليونان ذات اتصال دائم بالشرق . وتهمها مسألة البترول ، فهي لا تشاء التنحي عن مشاطرة غيرها استثماره في المستقبل .

وهذا هو السبب الذي من أجله رأيناها تتدخل في بدء الثورة السورية ، على أن رفضها الانتداب على ارمينيا وتشتت جميع ذلك الشعب الارمني على التقريب ساقا اليها ضرراً أدبيا بليغاً لان قسماً من أولئك الارمن يقيم حالياً في سورية .

وفوق جميع أسباب التدخل السياسي هذه المسألة الدينية ، فالولايات المتحدة ساعدت ولا تزال تساعد أكثر من سواها على امداد الصهيونيين بالمال ، وهي

تراقب باهتمام نجاح الصهيونية في فلسطين وتعضد جميع أفكار الصهيونيين وآمالهم . ولا تؤثر بها عدم شرعية مطالب الصهيونيين المتعلقة بالاراضي ، ولا يحرك ساكن عواطفها مساس حقوق العرب فم دمها يجري الاستعمار . وقد لفظ الاكليروس المسيحي كلمته أيضاً ، وفي السنة الماضية طلب مئة وعشرة أساقفة من أساقفة المسيحيين من مجلس الشيوخ في وشنطن الغاء الوثيقة المعقودة مع تركيا لزعمهم أن مليوناً من البشر ذهبوا ضحية الفظائع المرتكبة في تركيا ، وان كثيرين من المسيحيين في تلك البلاد لايزالون يتجرعون غصص الصغارة .

فرنسا —: هبط سؤدد فرنسا وخانها حلفاؤها وشركاؤها بالامس ، وقد باتت وحيدة في معترك هذه المزاحمات ، فليس لحكومتها منهاج معروف ، وليس لافكارها صلة تربط بعضها ببعض ، وهي تحت تأثيرات مخالفة لمبادئها ، وليس لها من مستند تركن اليه في داخلها لأن مديري شؤونها لم يقولوا الحقيقة قط ، وهي مع رؤيتها جميع الناس يطمعون باملاكها الخارجية تتزحلق على منحدر تلقى فيه الاعتطام .

ولم تجن من وراء اتفاقها مع أنقرة غير الخيبة والخسار من جهة تركيا والشعوب المجاورة . وقلل اتفاقها مع بريطانيا شيئاً من نفوذها ، ونفر منها موقفها في أرض الاسلام التونسيين والمراكشيين وعلى الراجح فريقاً كبيراً من رعاياها في افريقيا الغربية والجزائر . وهذا منشأ الاضطراب الظاهر والمضمر الحادث في جميع البلدان المأهولة بالمسلمين ، ولا ينبغي ان نبحث عن الاسباب عند غيرنا فالانسان يكفر عن هفواته

على أنه يجب على فرنسا أن تلاحظ حركاتها وسكناتها أكثر مما تلاحظها غيرها من الدول الاسلامية ، ففي ممتلكاتها نحو خمسين مليوناً من المسلمين يتكلمون العربية ويؤثر فيهم نفوذ العالم العربي والاسلامي دون أن تعاكسهم مسائل الوراثة أو اللغة .

وان فرنسا لاجل انجاز عملها أذاعت فكرة ترمي الى اجلاس أمير تونسي من أسرة الباي الحالي على عرش سورية فيالها من سياسة خرقاء ! وقد دار على الالسنة أيضاً اسم الخديوي السابق صديق الالمان .

بلاد العرب الوسطى :— مجد مركز قلب الامة العربية ، ففيها نشأت امارة

وطنية عربية بهمة رجل مقدام حديد الذهن ركب مركب الاسفار الكثيرة ، وهو محمد بن عبد الوهاب . ولم يكن مذهبه الديني الشديد العنف سوى ستار يموه به الحركة الوطنية ، وفي ذلك الحين كان منشأ سلالة آل سعود .

أما الآن فقد تحول الوهابيون تحولاً بيناً وصار عندهم شيء من الهوادة وهم يؤلفون القوة المركزية المعدة للعمل على انشاء الامبراطورية العربية الكبرى أو على الأقل لانشاء الولايات المتحدة العربية في الشرق ، فسلطانهم الحالي صاحب الأمر والنهي في الآونة الحاضرة يرحب بجميع أنواع الرقي ، وهو سياسي محنك لا يفوته شيء من كبار الامور وصغارها ، وقد حشد حوله فريقاً كبيراً من الضباط العرب الذين كانوا في الجيش التركي القديم ، فاصبحت له الآن قوة تزداد يوماً فيوماً . وهو يستنفد الميسور لتحضير العرب الرحل وجعله اياهم يميلون الى الزراعة كاخوانهم في شمر والقصيم والعارض . وقد ارتاح الى ارسال فرنسا وبريطانيا ممثلين يقيمون لديه في الرياض عاصمة سلطنته ، وفي مقابل ذلك أرسل من لدنه ممثلين الى بيروت والشام ومصر . وارسل مندوبين الى العواصم الكبيرة للاتفاق مع الحكومات على انشاء سفارات ، فتم له ذلك في برلين

ان سلطنته واسعة الارجاء بعيدة الاطراف الا ان مطامعه محدودة ومقرونة بالتعقل ، وهو غير عجول في أعماله ، وهمه أن يكون العرب مستقلين . وهو يراقب العراق وسورية والشرق العربي وفلسطين ، وله بواسطه مكة والمدينة صلات متواصلة بجميع مسلمي العالم .

فالامة التي تحسن خطب موالاته باثباتها له حسن دخائلها السلمية لا تلقى لديها سببا للشكوى منه ، فما عدا ما تلقى عنده من العضد الادبي والديني تعول على استغلال جميع بلاد العربية الوسطى ، فهي غير معروفة حق المعرفة بيد انها غنية ، ففي الانجاد المتوسطة في شبه جزيرة العرب ما يدهش الالباب .

ولا يندفع ابن سعود مع أي سياسة خارجية كانت ، ولا يؤثر فيه ادنى نفوذ ، فهو عربي قح نبيل ، وهو زعيم كبير وقد انتحل تلك الفكرة التي نشرتها جريدة المقطم الصادرة عن مصر في ٢ نيسان سنة ١٩٢٦ وهذه خلاصتها :

« لا يسعى الشرقيون لاضرام نار الحرب ولا للمجاهرة بالعداوة ، فالغاية الوحيدة التي يرمون اليها هي نيلهم العدالة التي ضنوا بها عليهم من عهد بعيد واصابتهم حقا كان الغربيون أول من أعلنوه . واذا كان بين الشرقيين من اضطر (أو سيضطر) الى امتشاق الحسام ليحصل على ذلك الحق وتلك العدالة فما ذلك الا لانهم بخلوا عليه بجميع الوسائط ولانه الفى ذاته في مأزق حرج لا يلقى الى الخروج منه سبيلا . على ان الشرقيين بوجه الاجمال ميالون الى السلم وطامحون اليها . »

ولا يخفى ان ابن سعود حليف للامام محمود يحيي (وهـذا ربما نودي به خليفة) صاحب السلطان غير المنازع عليه في اليمن وجميع بلاد عسير على التقريب ، وفي قسم من حضرموت في الوقت الحاضر . وهذا الزعيم الكبير اهلك من الترك ٢٥٠ الفاً ، وقد كانوا يطمعون بالاستيلاء على بلاده . وله جيش عزيز الجانب ، ويمتد نفوذه السياسي والديني الى الاقاليم البعيدة .

الخلاصة

انتهينا الى آخر هذه الرسالة ، ومن المهم ان نوجز خلاصتها ثم نبسط للقراء كيف يجب أن تكون سياسة فرنسا . فمن الجهة الواحدة نرى تعارضاً في الشرق ناجماً عن الحاجات الحيوية عند بعض الشعوب وطموح بعض الشعوب الاخرى والمطامع المقرونة بروح التسلط عند فريق منها ، فكأننا ببريطانيا تهجر موقفها بعد ما كانت حتى اليوم تدير سكان الحوادث ، وقد فقدت من سؤددها ومنعتها .

ويختلط بهم رجال المالية الدولية الذين يطمعون بان يصبحوا سادة العالم بغير منازع وان يجعلوا الجميع خاضعين لاوامرهم ، فاوربا واميركا مستعبدتان لهم والحكومات تجاريهم بسيرها معهم جنباً الى جنب ولا تقرر شيئاً بغير موافقتهم .

ان لسياسة المصلحة السيادة على كل شيء ، فهي لا تدع سبيلا للعواطف السامية او للنواميس الادبية ، فالمال دون سواه قوام كل شيء ، وعليه فهي

ترى ان في الشرق مجالا واسعاً للاستثمار « بالقوة » لثروته الطائلة . وفيه أيضاً اراض فسيحة لسكنى الناس اذا أمكن اجلاء العرب عنه وما خلا ذلك فانه واسطة للاستيلاء على البلدان المجاورة من جهة الشرق بحيث يسهل فيما بعد الوصول الي الصين .

ونرى من الجهة الاخرى أن للمسألة الدينية دوراً في هذه المسألة الرائعة ، فالنصرانية والموسوية هبتا لمواقعة المحمدية — وفيما بعد لمكافحة البوذية — وهما تأملان أنهما تتمكنان بالاتفاق مع العوامل الاخرى الآنفة الذكر من صرع عدوّهما .

ونعلم من استقراء أسفار التاريخ أن الكرسي الرسولي لا يتحول عن خطته فهو يثابر على المسير عليها قروناً طويلة وهو يستخدم البشر لكنه لا يخدم الا مصلحته ، فقد قرر طمس آثار الاسلام ، وهو ينوي الوصول الى غايته ، ولو نجم عن ذلك دمار هائل ، وهو بمطامعه ودسائسه الخفية التي يسهلها له اكليروسه القانوني وبأنواع متعددة من التهديد يفضي به الامر الى اخضاع كل شيء لمشيئته

وللبروتسطانطية — البرسبيترية والمثودية والانكليكانية — سطوة عظيمة في أوربا الوسطى وأوربا الشمالية وفي الولايات المتحدة الاميركانية ، وهي تدير حكومتنا من سنوات عديدة ، واليها يجب أن تعزى خلافاتنا الدينية الوخيمة المغبة وكثير من المقررات التي نأسف لحدوثها في سياستنا الخارجية .

أما الصهيونية فانها أشد خطراً لان في حوذتها القسم الاكبر من المال في العالم ، ولا يجهل أحد مساعي الشعب اليهودي لصيرورته صاحب السلطان في المسكونة ، فحينئذ يتيسر له الانتقام لجميع الويلات التي أنزلت به ، والآن يتصرف على هواه في القطع لامتلاء خزائنه من المال ، واذا تعمقوا في البحث من هذا القبيل اكتشفوا أسراراً دقيقة .

وقد تألبت البروتسطانطية والصهيونية في نوبتهما لمنازلة الكاثوليكية ، ولكل منهما خصوم مناضلون ، فأمام هؤلاء الاعداء المختلفين البلدان المشرقية والمسلمون في أفريقيا وأوربا وآسيا والهند الهولندية ، وهذه الشعوب لم تحرز مدنية خصومها ولكن لها مبادىء أدبية تختلف عن مبادئهم ، وهي غير مستعدة للخضوع لشريعة المال العنيفة ، بل تتهيأ بالاتحاد مع حلفائها

البوذيين لتقاوم بجميع قواها هجمات أولئك الخصوم .

واستناداً الى هذه القاعدة التأم في شهر آب في (ناغازاكي) مؤتمر الجامعة الاسوية فشهده أربعون مندوباً ينوبون عن اليابان والصين وأفغانستان وكوريا والهند والفيلبين . . الخ ، وكانت الغاية منه تأليف عصبة الجامعة الاسوية ، ومن جملة ما قرره ذلك المؤتمر انشاء مصرف للجامعة الاسوية وبناء سكة حديد آسوية واتخاذ راية عامة لجميع البلدان الاسوية ، ونبذ انتحال الاسبرانتو كلغة عامة لكونها لغة « البيض » .

وعقد المؤتمر جلسة سرية قرر فيها وجوب القيام بنصر الهند للتحرر من نير « البيض » مما يكون ضربة قاضية على النفوذ الغربي في آسيا .

وختم المؤتمر جلساته بانشائه « عصبة الامم الاسوية » (٣ أغسطس)

فلا يتوهمن أحد أن هذا الكلام مصوغ من معدن التشاؤم ، فهو والحق يقال مبني على حقيقة راهنة ، وليس من خصائصنا أن نبحث عما يجب على الدول الاخرى أن يفعلن لاتقاء ما يهددهن من المتالف التي أرن نقعها بالاتفاق مع فرنسا ، فلا نهتم الا ببلادنا لتعلق الامر بمصلحتها ومستقبلها ، وحين يعرف الطبيب الداء يبادر الى معالجته بالدواء بدون تريث ولا ابطاء ، ولقد رأينا مواطن ذلك الداء فماذا يجب على فرنسا والحالة هذه أن تفعله لمداواته ؟

. ان فرنسا قد صارت موقتاً الى حالة تاعسة من جراء ما ارتكبه سياسيوها من الهفوات ، فبعضهم يعوزهم الوجدان والبعض الآخر مفتقرون الى العزيمة والقياس في العمل ، والجميع يحسدونها ويطمعون بها ويرغبون في سلخ شيء من ارضها في الخارج حتى وفي الداخل بحيث تصبح دولة من الدرجة الثانية لانهم يخشون وثباتها وروح الاستقلال الهاب فيها ومراميها الحرة ، فهي تضايقهم .

ان فرنسا هي البلاد الديمقراطية الكبيرة الوحيدة في نوعها ، ففي غيرها من البلدان نشأت أساليب للحكومة على أيدي أشخاص يؤمون الغرض تواً ، أما هي ففيها كثيرون من الخياليين ورسل الاخاء والسلام العام بين الشعوب ، فهم يلقون الخطب البديعة لكنهم لا يشاؤون رؤية الحقائق ، وسواء كان ذلك عمداً أو بغير تعمد تراهم يمثلون دور المنخدع أو يجعلون وطننا يمثل ذلك الدور .

فليس من وكدهم الا إشباع مطامعهم وليس لهم خطة مبحوث فيها ومعمول بها بكل تدقيق ، فهم ينقادون الى مجاري سياسة الدول المجاورة اما عن ضعف واما لاسباب اخرى يمكن التصريح ببعضها وكتمان البعض الآخر . على انه قد أزف الحين لتعيش عيشة مستقلة من دون أن تكون تابعة لأي كان .

فليس لها والحق يقال كما لبعض الدول الاخرى أفكار اسلامية خاصة ، وهي الامة الوحيدة التي يستطيع الاسلام الاتفاق معها ، فكلا الفريقين ميسور تفاهمهما .

وعندنا ان الوصول الى اتفاق في الخلاف الشرقي والعالمي يقتضي انتهاج فرنسا ما يأتي :

الابتداء بتسوية خلافها مع الشرق أي مع اللبنانيين والسوريين والاسلام . فحسبها أن تتحدى خطة الصدق . وقد بينا المنهاج الواجب السير عليه في خلاصة كتابنا « الثورة العربية » ولكننا أهملنا حينئذ المسألة الدينية لعدم ظهورها لنا جلية . فلنقبل بلا ابطاء جميع مقترحات السوريين بعد ما أصبنا ترضية حربية ولنجاهر على رؤوس الاشهاد باننا نبتغي خطب ولاء ومحالفة العالم العربي والاسلام ، ولنساعد على تأليف القوة العربية في الشرق ولنقدم الوسائط الفنية للزعماء المنتخبين في الولايات التي ستتألف منها المحالفة العربية .

ولنستأنف مع العرب ما باشره فرنسيس الأول مع سليمان ، ولنترك الخصوم أو الاصدقاء المداجين يصخبون ما طاب لهم الصخب ، فحين يلقى الانسان العطب يتهدده من كل جهة يحالف من يسعده الحظ باخلاصهم له ، فالعالم العربي الشرقي ينتظرنا ، ومصر تذكر كل ما فعلناه في سبيلها . هلموا بنا الى ذلك العالم واذرعنا مبسوطة ، ولنمح الماضي المؤلم ، فحينئذ نصبح أقوياء ومرهوبي الجانب ، ويصيرون يعولون علينا ، ويتهيبنا العالم ، فترجع السكينة الى مستعمراتنا والبلدان الموضوعة تحت حمايتنا . هذا ما كتبناه وكررناه من عدة سنين الى حكامنا فلم يصيخوا الينا أو انهم لم يشاؤوا أن يفهموا ذلك .

على انه قد كان في فرنسا نابوليون وقد دبر خطة بناها على جرأة عظيمة وهي اتخاذ الاسلام سنداً ينيل فرنسا التفوق في الشرق ، فما بالنا لا ننسج على منواله ؟

وزد على ذلك اننا نستطيع ، على ما اقترحه الدكتور انساباطو سنة ١٩١٧، محالفة ايطاليا « فلا نضيع كلانا الوقت ولا العناء بتنظيم سياسة اسلامية يكون من ورائها صلات مفيدة وولائية بالاسلام . »

أجل انه سيكون مشادات وتهديد من الخارج والداخل ولكن ما اجمل ما يكون ذلك المستقبل لبلادنا !

وحذار أن نخادع جارتنا ايطاليا في الوثيقة التي نوقعها معها ، فنحن في حاجة أن يكون لنا في شرق البحر الرومي مركز تعززه محالفة العالم العربي ومصادقته ومناصرته . وهـذا ضروري لمستقبلنا السياسي والاقتصادي ، فان نحن أهملنا هـذا المركز في مقابل احتمال تجنيس مئة الف ايطاليني في تونس بالجنسية الفرنسوية — يكثرون من الكلام عن هذه القضية — كان مثلنا في ذلك كمن يلقي الفريسة ويجري وراء ظلها . فهؤلاء المتجنسون الجدد يظلون ايطاليين مع اجراء جميع المعاملات اللازمة للتجنس . . . على ان أفضل شيء لاستمالتهم الينا يكون بتغيير طريقة ادارتنا في تونس على ما بينا ذلك في كتاب نشرناه حديثاً .

فهل لجمهوريتنا أن تتحفنا برجال قادرين على ادارة الشؤون ليتسنى لهم انهاض وطننا الى المستوى اللائق به من دون أن ينقادوا الى منازع وعواطف تفسد عليهم العمل ومن دون أن يكون لهم أدنى غرض غير فرنسا ؟

فاذا كان الجواب بالايجاب فلتبادر الى اختيارهم بغير تردد ، والا فلتجد لنا زعيماً قادراً على مقاومة جميع خصومنا حتى الروحيين من دون أن تستهويه الاوهام الفلسفية ، وما عليه الا أن يتدبر بكل ترو تاريخ فرنسا . ويجب عليه بصفة كونه وزيراً للخارجية أن يأخذ مثالا ينسج على منواله الجواب البات الذي فاه به وزير شارل العاشر لسفير بريطانيا حين جاء لابلاغه احتجاج حكومته على حرب الجزائر ، فهذا الجواب يجب أن يرسم بأحرف براقة أمام مكتب الوزارة .

فليسرعوا في تقرير مايجب اجراؤه لأن انكار نصف العالم للحرب الصليبية الجديدة قريب اعلانه . ونختم كلامنا بايراد العبارة الاخيرة من كتابنا « الثورة العربية » وهي عبارة حقيقية :

« ستظل المسألة العربية سبباً للقلق والهلع ريثما تسوى المسائل المأمولة تسويتها ، فالثورة العربية باقية دائما في حالة يكثر أو يقل استتارها ، واذا انتظروا المعضلة العالمية المستقبلة — ويمكن القول المعضلة الحالية — اشتد امر تلك الثورة استفحالا . » ونردف ذلك بقولنا : انها تحولت الآن الى ثورة اسلامية .

فهرست الكتاب



